التعدُّد لا التناقض في ملحمة استرداد الرياض

أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري *

قال أبو عبدالرحمن : لا يُحصى الاختلاف في كتابات المؤرخين والدارسين عن سرد أحداث استعادة الملك عبدالعزيز للرياض ، وهي آخر ما فقد من ملك أجداده ؛ فكانت منها بداية العهد الميمون .. وهذا الاختلاف على ثلاثة أنواع :

أولها : اختلاف تناقض وتضاد .. ولا يوجد هذا إلا في مصادر بعيدة عن واقع الحدث وبُناته ، وأمر ذلك محسوم بالتوثيق التاريخي الذي يوثِّق مصدراً ويضعف آخر .

وثانيها : اختلاف إيهام ؛ لحذف جزئية ، أو إجمال مفصل ، أو خلط بين حدثين ، أو تقديم مؤخر ، أو العكس .. وهذا يكون بين المصادر الموثقة ؛ لأن السهو والخطأ لا يَعْرى عنه بشر ، ولكن يُردُّ المجمل إلى المفصل .. والمقارنة بين الروايات عن الموثوقين تُنبِّه الذهن إلى استنباط السياق الصحيح من خضم الإيهام والإجمال والخلط .. إلخ .

وثالثها : اختلاف تعدد ؛ فيورد هذا ما غفل عنه – أو لم يعلمه – ذاك ؛ فالأحداث متعددة تجتمع من تعدد الروايات زيادة ونقصاً ، وزيادة الثقة مقبولة .. وأصدق الروايات ما صحت روايته عن صُنَّاع الحدث من القائد إلى

* محمد بن عمر بن عبدالرحمن العقيل .

– ماجستير من معهد القضاء العالي في التفسير ، وله مشاركات عديدة في التأليف والمقالة والإذاعة.

الجندي ؛ فلنبدأ بنص فؤاد حمزة ، وقد أملاه عليه الملك عبدالعزيز إملاء .. قال : «خرج عبدالعزيز من الكويت في فصل القيظ قاصداً فتح الرياض وكانت البادية معه ، وكان يعيش من الغزو ؛ فلما جاء الشتاء تفرق البدو ؛ فجلس في الربع الخالي شهرين قاسى وأصحابه فيهما كثيراً من شدة الفقر والجوع ، وكانت الرواحل هزيلة والسلاح كليلاً .. وفي ذلك الوقت أرسل الإمام عبدالرحمن ومبارك ابن صباح إلى عبدالعزيز يقولان : «إننا نخشى عليك من ابن رشيد ؛ فالأحسن العودة» .. فحلف عبدالعزيز أن لا يعود .

قال عبدالعزيز : «افتكرنا مع ربعنا فيما نعمل ، فاتفق الرأي على السطو على الرياض ؛ فلربما حصلت لنا فرصة في القلعة نأخذها بسياسة ؛ لأنه في الظاهر كانت علينا جواسيس»[1] ، وقد حصل هذا الكلام في آخر رجب سنة ١٣١٩هـ .

لا أجد لساناً أبلغ في التعبير عن حوادث القصة الخالدة من لسان الملك نفسه ؛ فقد تحدث عن هذه المجازفة الخطيرة بكلام بسيط سمح ننقله [2] فيما يلي : «أخذنا أرزاقاً ، وسرنا وسط الربع الخالي ، ولم يدر أحد عنا أين كنا ؛ فجلسنا شعبانَ بطوله إلى عشرين رمضان ، ثم سرنا إلى العارض .

كانت رواحلنا ردية ، ولم نرد أبو جفان الواقع على طريق الحسا إلا أيام العيد فعيَّدنا رمضان عليه .. سرنا منه ليلة ثالث شوال حتى صرنا قرب البلد ،

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : وهذا سر بعثته إلى بعض العربان في ٢٢ رمضان كما سيأتي في سياق الشيخ محمد بن عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ .

(٢) إن كانت سمح من السماحة فالكلام مستقيم ، وإن كانت بمعنى السماح (أي الإذن) فالأولى إظهار «أن» بعد «سمح» .

وكان ابن رشيد هدم سور البلد ، والمحل الذي يقيم فيه الأمير المنصوب من قبله يقع في قصر للإمام عبدالله هدمه ابن رشيد وأبقى فيه القلعة المسماة بالمصمك، وكانت لنا بيوت للعائلة أمام المصمك هدمها الرشيدي أيضاً ، وعملوا حول بعضها سوراً ثانية ، وصار فيها بعض حرم للأمير وخدمه ؛ فإذا جاء بالليل حاصروا في القلعة ، وعقيب طلوع الشمس يخرجون إلى حرمهم وإلى البلد ؛ فنحن مشينا حتى وصلنا محلاً اسمه ضلع الشُـقَيب [(١)] يبعد عن البلد ساعة ونصف للرجلي .. هنا تركنا رفاقنا وجيشنا ، ومشينا على أرجلنا الساعة السادسة ليلاً ، وتركنا عشرين رجلاً عند الجيش .. والأربعون مشينا [(٢)] لا نعلم مصيرنا ولا غايتنا ، ولم يكن بيننا وبين أهل البلد أي اتفا[(٣)] .

بعد أن أقبلنا على البلاد أبقيت محمداً أخي ومعه ٣٣ رجلاً من خوايانا، ومشينا ونحن ٧ رجال : أنا ، وعبدالعزيز بن جلوي ، وفهد ، وعبدالله بن جلوي ، وناصر بن سعود ، ومعنا المعشوق ، وسبعان من خدامنا .. افتكرنا ماذا نعمل ؛ فوجدنا بيتاً بجانب الحصن الذي فيه حرم منصوب ابن رشيد .. كان صاحب البيت يبيع البقر وهو رجل شايب اسمه جويسر للآن حي ، وكانت له بنات يعرفنني بسبب مجيئي الأول للرياض يوم الصريف .. كان واحد اسمه ابن مطرف يخدم عند رجاجيل ابن رشيد في القصر .. دقيت الباب ؛

(١) في الأصل : الشعيب، وإنما هو الشُقَيب بضم الشين المشددة ، وهو شعيب ينحدر من جبل أبوغارب، ويأتي التعريف بهما وبوادي دعكنة إن شاء الله .. وهو جنوب الرياض .

(٢) أي ومشينا نحن الأربعين .

(٣) في رواية محمد بن عبدالله آل الشيخ : أن عبدالعزيز راسل بعض خاصته بالرياض أنه سيسطو على عجلان في مسجد العيد ، فنصحوه ؛ فانتصح .. ولا ينافي ما ورد هاهنا ؛ لأن المنفي هاهنا الإعلام بموعد القدوم ، والاتفاق على خطة .

فخرجت إحدى البنتين والباب مصكوك ، وقالت : من أنت ؟ .. قلت : أنا ابن مطرف أرسلني الأمير عجلان يريد من أبيك أن يشتري له باكر بقرتين ، وأريد أن أقابل أباك .. قالت : ما تخسي يا ابن الملعونة !! .. هل أحد يضرب باباً على نساء في الليل إلا وهو يبغي الفسق .. أخرج ، رح .. قلت : هيِّن أنا الصبح أقول للأمير وهو يذبح أبوك .. لما سمع أبوها الكلام خرج مرعوباً ، وفتح الباب وكان خائفاً ؛ فلما فتح الباب مسكته ، وقلت : اسكت يا خبيث .. عرفني الحريم ، وصحن : عمنا عمنا .. فقلت : بس بس .. مسكنا الحريم بنات جويسر، ووضعناهم في الدار .. وقلت : صكوا عليهما ، أما والدهما فإنه خاف وهرب من البيت ، ونحن نظنه محبوساً ؛ فهرب واختبأ في ضلع البديعة ، والحريم ظلوا في الغرفة محجوزين[1] ؛ ورأينا بعد ذلك أننا ما يمكن نطمر من هذا البيت إلى بيت عجلان ، ووجدنا أنه يوجد بيت وراء ه فيه حرمة وزوجها ، فقفزنا من هذا على البيت الثاني ، ووجدنا الحرمة نائمة مع زوجها .. لففناهما بالفراش وهما نائمان ، وأدخلناهما إلى دار ، وسكرناها ، وتهددناهما بالذبح إن تكلما .. أرسلنا عبدالعزيز ، وفهد بن جلوي إلى أخي محمد خارج الديرة[2] ، وجاء محمد ورفاقه .. دخلنا البيت ، واسترحنا قليلاً إلى أن تحققنا أن خبرنا لم يفتضح بعد .. أبقيناهم .. أي محمد وخوياه في البيت ، ونحن الآخرون نركب بعضنا فوق البعض الآخر ، وحولنا على بيت عجلان ونزلنا إلى

(١) في كلام محمد بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله الذي سيأتي سقط ، وإجمال ، وتقديم وتأخير ؛ فيُفصَّل بخبر عبدالعزيز هذا .

(٢) على رواية محمد بن عبدالله آل الشيخ يكون الأمير محمد ورفاقه في حائط ابن حويان خارج دروازة الظهيرة .

داخله (وكانت معنا شمعة) ، فطفنا في البيت قبل أن نجيئ إلى محل نوم عجلان .. مسكنا الخدم الذين فيه ، وحبسناهم في دار ، وصكينا عليهم ، ثم مشينا إلى محل نوم عجلان ، وخلينا خمسة عند الباب وواحد معه الشمعة ، وأنا دخلت وفي البندقية فشكة ؛ فلما أقبلت وجدت عجلان نائماً مع زوجته ؛ فرفعت الغطاء ، وعندها تحقق لي خيبة ظني وأنه ليس بعجلان .. والحرمة زوجة عجلان ، وإنما هي وأختها نائمتان معاً .. أخذت الفشكة من البندق وأخرجتها ، ثم وكزت الحرمة فنهضت ؛ فلما رأتني صرخت : من أنت ؟ .. فقلت أنا : بس أنا عبدالعزيز .. أما هي فكانت تعرفني ، وأبوها وعمها خدام لنا ، وهي من أهل الرياض .. قالت : ماذا تريد ؟.. قلت : أدور رجلك يا فاجرة ياللي تأخذين شمر .. قالت : أنا غير فاجرة .. أنا ما أخذت شمر إلا يوم تركتني.. أنت ويش جايبك ؟ .. فقلت : أنا جيت أدور رجلك لأقتله .. قالت: أما زوجي فلا ودي تقتله ، وأما ابن رشيد وشمر فودي تقتلهم جميع ، ولكن كيف تقدر على زوجي ؟ .. زوجي محصن في القصر ومعه ٨٠ رجل ، ويمكن لو اطلع عليك أخاف ما تقدرون تنجوا بأرواحكم، وتخرجوا من البلاد .. تكلمت عليها ، وسألتها عن وقت خروج زوجها من الحصن ؟ .. قالت : إنه ما يخرج إلا بعد ارتفاع الشمس بثلاثة أرماح .. أخذناها، وصكينا عليها مع الخدم، ثم أحدثنا فتحة بيننا وبين الدار التي فيها أخي محمد ، ودخلوا علينا.. كان الليل عندئذ الساعة التاسعة والنصف والفجر يطلع على ١١ ؛ فلما اجتمعنا في المحل استقرينا ، وتقهوينا ، وأكلنا من تمر معنا ، ونمنا قليلاً ، ثم صلينا الصبح ، وجلسنا نفكر ماذا نعمل ؟ .. قمنا وسألنا الحريم : من الذي

يفتح الباب للأمير إذا جاء ؟ .. قالوا : فلانة .. فعرفنا طولها ، فلبَّسنا رجلاً منا لباس الحرمة التي تفتح الباب ، وقلنا له : استقم عند الباب ؛ فإذا دق عجلان افتح له ليدخل علينا .. رتبنا هذا وصعدنا إلى فوق في غرفة فيها فتحة نشوف باب القصر ، وبعد طلوع الشمس فتحوا باب القلعة ، وخرج الخدام على العادة إلى أهلهم ؛ لأنهم كما ذكرنا أصبحوا حذرين من يوم سطوتنا الأولى ، ثم فتح باب القلعة وأخرجوا خيولهم وربطوها في مكان واسع .. لما رأينا باب القلعة مفتوحاً نزلنا ؛ لأجل أن نركض للقلعة وندخل القصر بعد فتح الباب .. بنزولنا خرج الأمير ومعه خدمه قدْ ١٠ رجاجيل قاصداً بيته الذي نحن فيه ، وبعد خروجه أقفل البواب بابه ، وراح لأسفل القصر ، وترك الفتحة .. نحن عند نزولنا أبقينا ٤ بواردية ، وقلنا : إذا رأيتمونا راكضين أطلقوا النار على الذين عند باب القصر ؛ فلما ركضنا كان عجلان واقفاً عند الخيل ؛ فالتفت إلينا مع رفاقه ، ولكن هؤلاء الرفاق ما ثبتوا بل هربوا للقصر ، وحينما وصلنا إليه كان الجميع دخلوا ما عدا الأمير عجلان هو وحده[1] أما أنا فلم يكن معي غير بندقي وهو معه سيفه .. رد لي السيف وهو يومي بالسيف ووجه السيف ماهو طيب .. غطيت وجهي ، وهجمت بالبندق ؛ فثارت ، وسمعت طيحة السيف في الأرض .. يظهر أن البندق أصابت عجلان ، ولكنها لم تقض عليه ؛ فدخل من الفتحة ، ولكني مسكت رجليه ، فمسك بيديه من داخل ورجلاه بيدي .. أما جماعته فقاموا يرموننا بالنار ، ويضربوننا بالحصى أيضاً.. ضربني عجلان برجله على شاكلتي ضربة قوية .. أنا يظهر أنني

(١) في رواية محمد بن عبدالله آل الشيخ التي ستأتي زيادة فائدة برواية كلمة قالها الملك عبدالعزيز رحمه الله.

غشيت من الضربة ؛ فأطلقت رجليه فدخل.. بغيت أدخل فأبى علي أخواي[1]، ثم دخل عبدالله بن جلوي والنار تنصب عليه ، ثم دخل العشرة الآخرون .. فتحنا الباب على مصراعيه[2] وجماعتنا ركضوا لإمدادنا (وكنا أربعين ، والجماعة الذين أمامنا ٨٠) .. ذبحنا نصفهم ، ثم سقط من الجدار أربعة وتكسروا ، والباقون حاصروا في مربعة ، ثم أمنـاهم فنزلـوا .. وأما عجلان فذبحه ابن جلـوي ، ثم جاء نا أهل البلاد ؛ فأمناهم ، وسكنا يومنا وليلتنا ، ثم شرعنـا في بنـاء السور .. أركبنـا ناصر بن سعود بالبشارة لمبارك ووالدي وطلبنا المدد .

وبعد شهر أرسلوا لنا أخي سعد ومعه مائة [3] رجل وبعض الذخيرة من الكويت ، وكان السور قد تمَّ، وكان ابن رشيد في واجهـة الكويت والعراق؛ فسمع بنا أهل نجد القريبون .. جاؤونا ، والبعيدون جاء نا منهم أناس ، وصار عندنا في البلد قدر ألف من أهل نجد .

تابع الملك عبدالعزيز حديثه الطلي فقال : «أرسلت للوالد ولمبارك أن ابن رشيد لابد مقبل علينا، ولا أستطيع المكث في الديرة وليس مَن آمنه عليها إلا والدي فليحضر ؛ فجاء الوالد بعد غزوة قام بها على شمر في قبة وكان القيظ وصل، وأصبح عندنا ١٥٠ خيال من أهـل نجد، وبلغني الخبر أن ابن رشيد نزل

(١) يظهر أن ذلك تطبيع ، وأن الصواب : أُخُوْيْ .. أي أخي ؛ لأنه لم يشارك عبدالعزيز في هذه المناسبة غير أخيه محمد ؛ وإنما رجحتُ هذا المعنى لأنه ستكرر في السياق ما يدل على أن المراد الأخوة .. ولولا ذلك لرجحت كلمة (أخُوياي) .

(٢) عند آل الشيخ زيادة تفصيل .

(٣) إن لم يكن في الكلام تطبيع بسقوط «ست» قبل مئة؛ فرواية فؤاد عن الملك عبدالعزيز هي الأوثق، ويكون عدد ستمئة الذي ذكره الشيخ محمد بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله إشاعة وصلت إليه .

ثادق ؛ فأرسلت محمد أخي وابن جلوي إلى آل مرة في أطراف الحساء ؛ لأجل تأمين السابلة ، ومنع انحدار طوارف لابن رشيد إليه ، وطلبت من والدي ١٠٠ ذلول و ٤٠ فرس ، وأبقيت باقي القوة عنده في الديرة وخرجت» .

وأما ابن رشيد فقد أشار عليه بعض رجاله بأن يسير من ثادق ، ويضبط الحفر .. ولكنه رفض»[١] .

قال أبو عبدالرحمن : المتحدث قائد الملحمة الملك عبدالعزيز ، والراوي من رجاله المقربين إليه ، وقد كتب كتابه في حياة الملك عبدالعزيز رحمه الله ؛ فلنجعله ركيزة نعود إليها في استعراض ما سيرد من روايات متعددة .

وقال الشيخ سعد العبدالعزيز الرويشد (وهو من الأشياخ المخضرمين المسنين متع الله بحياته) : «لقد نجح الملك عبدالعزيز بتوفيق من الله ثم بقيادته الحكيمة ، ومطامحه البعيدة ، وشجاعته النادرة ، وبمساعدة الرجال الأبطال المخلصين من أسرته ومرافقيه الذين بلغ عددهم سبعة وأربعين رجلاً .. ومن المؤرخين من زاد في عددهم ، ومنهم من نقص في عددهم ، ومنهم من أسقط أناساً حضروا الفتح ، ومنهم من أدخل أناساً لم يحضروا ؛ لهذا فإنني قد تحريت الدقة في صحة أسمائهم من عدة مصادر ، ومن بعض الذين حضروا بأنفسهم ، وكان لي معهم صداقة .. وذلك قبل وفاتهم رحمهم الله ، وهم سمو الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي ، وإبراهيم بن عبدالرحمن النفيسي ، وعبدالله بن عسكر السيد ، وسعد بن عبدالله بن عبيد ، وسعد بن بخيت آل تركي .. وهذه أسماؤهم مفصلة أدناه :

---

(١) البلاد العربية السعودية ص ٢٠ - ٢٤ ، وأورد الأستاذ ابن خميس هذا النص في تاريخ اليمامة ٥٣/٧ - ٥٩ عن الريحاني والزركلي .. والأولى إسناده إلى رواية فؤاد حمزة في كتابه المحال إليه آنفاً.

١ - الأمير محمد بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود .

٢ - الأمير فهد بن جلوي بن تركي آل سعود .

٣ - الأمير عبدالعزيز بن جلوي بن تركي آل سعود .

٤ - الأمير عبدالله بن جلوي بن تركي آل سعود .

٥ - الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي بن تركي آل سعود[١] .

٦ - الأمير عبدالعزيز بن عبدالله بن تركي آل سعود .

٧ - الأمير فهد بن إبراهيم بن مشاري آل سعود .

٨ - الأمير عبدالله بن سعود بن صنيتان آل سعود .

٩ - الأمير ناصر بن سعود بن فرحان آل سعود .

١٠ - الأمير سعود بن ناصر بن فرحان آل سعود .

١١ - فهد بن عبدالعزيز بن معمر كبير المعامرة أهل سدوس [٢] .

١٢ - صالح بن سبعان من أهل الرياض .

١٣ - سعيد بن بيشان من أهل الدرعية .

١٤ - مطلق بن عجيبان من أهل الرياض .

١٥ - إبراهيم بن عبدالرحمن النفيسي من أهل الرياض .

١٦ - مسعود آل مبروك من أهل الرياض .

١٧ - سطام أبا الخيل من قبيلة الجبلان مطير .

١٨ - زيد بن محمد بن زيد من أهل الرياض .

---

(١) لم يذكره الشيخ محمد بن عبدالله .

(٢) لم يذكره الشيخ محمد .

١٩- فهد بن الوبير من قبيلة العجمان [١] .

٢٠ - حزام بن خزام العجالين الدوسري من أهل الأفلاج .

٢١ - ثلاب بن حمد العجالين الدوسري من أهل الأفلاج [٢] .

٢٢- عبدالله بن شنار الدوسري من أهل الأفلاج [٣] .

٢٣ - عبدالله بن عسكر الملقب بالسيد من أهل الرياض .

٢٤ - معضد بن خرصان من قبيلة آل شامر العجمان [٤] .

٢٥ - عبداللطيف المعشوق المسمى الشليقي من أهل الرياض .

٢٦ - فهد المعشوق من أهل الرياض .

٢٧ - محمد المعشوق المكنى أبو عبيد من أهل الرياض .

٢٨ - عبدالله بن صالح بن مشخص المسمى عويبيل من أهل الرياض .

٢٩ - يوسف بن صالح بن مشخص أخو عويبيل من أهل الرياض .

٣٠ - مسلم بن مجفل السبيعي من قبيلة سبيع .

٣١ - سعد بن عبدالله بن عبيد من بلدة ملهم [٥] .

٣٢ - سعد بن بخيت آل تركي من أهل الرياض .

٣٣ - عبدالله بن عثمان الهزاني من أهل الحريق .

٣٤ - عبدالله بن حسين بن جريس من أهل بلدة العمارية .

---

(١) سماه الشيخ محمد محمداً ، وذكر أنه من القتلى .

(٢) لم يذكره الشيخ محمد .

(٣) ذكر الشيخ محمد ابن فلاح عبد «عبدالله بن شنار» .

(٤) ذكره الشيخ محمد ضمن الذين بقوا عند الجيش ومعه أربعة من جماعته .

(٥) قال الشيخ محمد : من أهل صلبوخ .

٣٥ – ناصر بن عبدالله بن شامان المليحي من أهل العمارية .

٣٦ – محمد بن هزاع من أهل الدرعية .

٣٧ – خليفة بن بديع من أهل الدرعية [١] .

٣٨ – عبدالله بن خنيزان من أهل الرياض [٢] .

٣٩ – منصور بن محمد بن حمزة من أهل الرياض .

٤٠ – منصور بن فريج من موالي الملك عبدالعزيز .

٤١ – محمد بن شعيل من أهل الدرعية [٣] .

٤٢ – مطلق المغيربي من أهل الرياض [٤] .

٤٣ – ماجد بن تركي بن مرعيد من قبيلة الظفير [٥] .

٤٤ – فرحان آل سعود من موالي آل سعود .

٤٥ – فيروز آل عبدالعزيز مولى الملك عبدالعزيز [٦] .

٤٦ – مناور العنزي من قبيلة عنزة [٧] .

٤٧ – نافع الحربي من قبيلة حرب [٨] .

---

(١) لم يذكره الشيخ محمد .

(٢) وذكر الشيخ محمد أن أصله من البرة .

(٣) سماه الشيخ محمد فهداً .

(٤) لم يذكره الشيخ محمد .

(٥) سماه الشيخ محمد ماجد بن عبدالله ، وأضاف أباه .. وفي موضع آخر ذكر أنه من الذين بقوا عند الجيش ، وذكر أنه من سبيع .

(٦) لم يذكره الشيخ محمد .

(٧) لم يذكره الشيخ محمد .

(٨) لم يذكره الشيخ محمد .

هؤلاء هم الأبطال الموضحة أسماؤهم أعلاه، وعددهم سبعة وأربعون رجلاً: منهم عشرة رجال من الأسرة السعودية، وسبعة وثلاثون رجلاً من المواطنين المخلصين .. وقائدهم وزعيمهم الملك عبدالعزيز رحم الله الجميع رحمة واسعة[1].

وحتى تاريخ كلمتي هذه لم يبق منهم أحد على قيد الحياة ؛ فقد ماتوا جميعاً وغفر ا لهم .. وآخر من توفي منهم الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي توفي بالرياض عام ١٣٩٧هـ .

إن فتح عبدالعزيز للرياض في اليوم الخامس من شهر شوال ١٣١٩هـ يعد من الإنجازات النادرة ، ومن البطولات الفذة ؛ لهذا وصفها التاريخ بأنها حجر الأساس لهذا الملك الواسع الكبير ، وإنها ركيزة الانطلاق له ، كما أن التاريخ وصف الملك عبدالعيز بأنه المؤسس الثالث للدولة السعودية الكريمة .. وجدير بالذكر أن الملك عبدالعزيز لم ينجح في فتح الرياض في أول مرة ؛ بل كانت هناك المرة الأولى عام ١٣١٨هـ حين هجم عليها ؛ فلم يحظ بالنجاح الكامل ، وعاد إلى الكويت .. إلا أنه حاول مرة أخرى في السنة الثانية»[2] .

وقال : «إن فتح الرياض قد تضمن موقفاً لم يقف أمامه المؤرخون طويلاً رغم ما يعنيه من خلق كريم وكره لإراقة الدماء ؛ فعندما قدم من الكويت مع سبعة وأربعين رجلاً لم يقم بتنفيذ العملية بهم جميعاً ؛ بل إنه أحس بحجم الخطورة ؛ فتقدم بقسم من قومه وبقوا في المنزل المقابل لقصر المصمك ينتظرون

(١) أضاف الشيخ محمد كلاً من : عبدالله بن مريعيد بعد ذكره لابنه ماجد ، وعبيد أخو أم شعوة الدوسري ، وسعد ابن جيفان ، وسلطان مولى للملك عبدالعزيز ، وحترش العرجاني ، وابن أخيه حشاش ، وسعد بن هديب .

(٢) من تاريخ الملك عبدالعزيز ومواقفه النادرة ص ٦ - ٩ .

فتحه، والقسم الثاني أبقاهم بالقرب منهم وهم بجوار سور البلد المهدوم آنذاك .. أي في الجهة الشرقية عن القصر بقصد استدعائهم إذا حان موعد الهجوم ، والقسم الثالث أبقاهم بعيدين عند الرواحل في الجنوب الشرقي من بلدة الرياض بحيث لو واجهتهم حامية الخصوم ، وفشلت مهمتهم : لا يُقتلون جميعاً ، وإنما ينحصر القتل أو الأسر في القلة الأولى التي يرأسها عبدالعزيز» [1] .

قال أبو عبدالرحمن : نصَّ الملك عبدالعزيز على أن رفاقه ستون بقي منهم عشرون عند الجيش في ضلع الشقيب ببعد ساعة ونصف عن البلد للماشي على رجليه ، ثم دخل الرياض وهم سبعة ، وبقي الأمير محمد بن عبدالرحمن مع الباقين وعددهم ٣٣ ، ثم دخل محمد ورفاقه بدعوة من عبدالعزيز بعد الدخول في بيت جويسر ، ثم قفز عبدالعزيز بالسبعة الذين معه إلى بيت عجلان ، وبقي محمد ورفاقه في بيت جويسر حتى فتح عليهم عبدالعزيز فتحه دخلوا منها ؛ فاجتمع الأربعون في بيت عجلان .

وأول من دخل المصمك عبدالله بن جلوي ، ثم تبعه عشرة ، ثم دخل الأربعون كلهم لم يُصب منهم أحد بموت .

أما الشيخ سعد فقد اقتصر عدده على سبعة وأربعين ، ولم يذكر من دخل البلد منهم ومن بقي عند الجيش بضلع الشقيب ، وذكر أن هذا العدد هم الذين قدموا معه من الكويت ، وجعلهم ثلاثة أقسام :

أ - قسم في المنزل المقابل قصر المصمك .

ب - قسم قريب منهم شرقي القصر جوار سور البلد المهدوم .

جـ - قسم بعيد عند الرواحل جنوب شرق الرياض .

(١) المصدر السابق ص ١٥ .

ومن أبطال الملحمة الذين عدهم سعد «عبدالله بن عثمان الهزاني» .. وهذا البطل له رواية للحدث رواها عنه الأخ عبدالله بن حسين الغانم ، وكتب إلي بروايته قائلاً : «كثير ممن روى قصة فتح الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود رحمه الله للرياض رواها بروايات متناقضة ؛ فمنهم من زاد ، ومنهم من نقص ، ومنهم من حرَّف ، ومنهم من سلب صبغة روايتها التاريخية .. ولم أر أحداً أحال قصتها الحقيقية إلى مستند صحيح يرويه عن أبطالها الذين شاركوا في بطولتها التي يندر تسجيل مثلها في مصادر التاريخ [١] ؛ وبما أنني سمعت قصتها عدة مرات من أحد أبطالها (وهو الذي رسم الخطة بين يدي الملك عبدالعزيز كما ستراه إن شاء الله ، وقد شارك مع الملك عبدالعزيز في جميع الغزوات حتى أدركه الكبر ، وكان موضع الثقة للملك عبدالعزيز ؛ إذ كان ينتدبه في كثير من المهمات في قمع المفسدين وتنكيلهم) ، وهو عبدالله بن عثمان الهزاني ، وكثيراً ما كان يتحفنا بروايتها في بيت صالح بن عبدالله الحوطي رحمهم الله وجميع المسلمين ، ولم يختلف حديثه بكلمة واحدة على الرغم من روايته لها مرات عديدة .

وللأمانة أرويها بحسب اللهجة والأسلوب الذي سمعته من راوي القصة .. وليلاحظ بأن القصة تبدأ من تاريخ دخول الملك الرياض المرة الأولى عام ١٣١٨هـ ؛ لارتباط القصتين بعضهما ببعض ، وحشّيت عليها بإيضاح بعض معاني الكلمات والمواقع الواردة .

يقول عبدالله بن عثمان الهزاني رحمه الله : هجم الملك عبدالعزيز على

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : بل روى ذلك فؤاد حمزة ، ومحمد آل الشيخ .

الرياض عام ١٣١٨هـ ، وكان أميرها من قبل ابن رشيد عبدالرحمن بن ضبعان[١]، وحصلت مقاومة شديدة من قبل حامية ابن رشيد، فصُوِّب عبدالعزيز في يده ، وانتصر ، ودخل الرياض مع دروازة عرعير [٢] ، واحتما ابن ضبعان بالقصر، ودخل أهل الرياض القصر معه ؛ لأن في ذمتهم بيعة لابن رشيد ، وحاصر عبدالعزيز القصر أربعين يوماً ، وفي هذه الأثناء حصلت معركة الصريف بين ابن رشيد وابن صباح والإمام عبدالرحمن ، وانهزموا .. ولما رجعوا ، ووصلوا العرمة : أرسلوا إلى عبدالعزيز يخبرونه بهزيمتهم ، وطلبوا

(١) قال أبو عبدالرحمن : هذا ما يوافق رواية ابن ناصر ، ويوسف إبراهيم يزبك .. على أن الأستاذ عبدالرحمن بن سليمان الرويشد يرى أن ابن ضبعان من كبار القوم ، وأن الأمير عجلان .. قال يوسف يزبك في كتابه ليلة المصمك ص ١١ - ١٢ : «وترعرع التنافس ؛ فالعداء بين عبدالعزيز المتعب آل الرشيد حاكم نجد الجديد ، ومبارك الصباح سيد الكويت ومضيف أنسبائه من آل سعود ؛ فبدأت بينهما المناوشات ، وتحرك الإمام عبدالرحمن الفيصل آل سعود إلى نصرة مضيفه ، وغزا عشائر ابن الرشيد في الروضة ، وأخذهم .. كما غزا أخو مبارك شمراً على الخيمة ، وأخذ بعضهم .. وإذا الحرب الحتم تفرض نفسها : لابد للسيف من كلمته بين ابن الرشيد وابن صباح .. وتأهب الخصمان العنيدان؛ فمشى ابن صباح إلى القتال ومعه حلفاؤه اللاجؤون إلى الكويت من أمراء الرياض وعنيزة وبريدة ، واغتنمها الشاب عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود سانحة مباركة لتقرير مصيره ؛ فاستأذن والده ومضيفه ، وأصحر بقوة نحو بلاد آبائه وأجداده .. وما زال يجد في غزوه ويلقى النصر حتى بلغ الرياض ، وحاصرها ستين يوماً ، ثم بدأ يحفر خندقاً تحت السور؛ ليصل إلى قصر الحاكم ، وهو يومئذ عبدالرحمن بن ضبعان عامل الرشيد .

وأبت الأقدار القاسية إلا أن ينكسر جيش الكويتيين وحلفائهم شر كسرة في وقعة «الصريف» التاريخية ؛ فمادت البيداء ، وأجفل الذين كانوا في نجد ينتظرون الفرج بانكسار ابن الرشيد ؛ فلما وصلت أنباء «الصريف» إلى عبدالعزيز آل السعود فك الحصار عن الرياض فوراً ، وأسرع بالانسحاب إلى الكويت ؛ لئلا تدركه القوة المنتصرة وتطبق عليه» .

وذكر الشيخ محمد آل الشيخ فيما سيأتي من سياقه : أن الأمير عجلان ، ومساعده ابن ضبعان .

(٢) هي الدروازة الواقعة شرق دروازة دخنة [الغانم] .

منه أن يغادر الرياض ؛ لئلا يجيئه ابن رشيد ؛ فأمر عبدالعزيز أخوياه بأن يظهروا بعد العشاء ، وواعدهم شعيب منيحيز [1] ، وترك الرياض .. وأرسل ابن رشيد سويلم السبهان ؛ فجمع أهل الرياض ، وقال لهم : إن الأمير سلمه الله أمرني أن أذبح العيال منكم وأسباكم .. فقلت له : طول الله عمرك ما حصل من أهل الرياض خلاف ، وموفين لك بالبيعة ، ودخلوا مع ابن ضبعان [2] القصر ، ولكن شوفوا لكم ثلاثين ألف يرضى بها الأمير .. وحدَّهم حتى باعوا فراشهم وأثاثهم .. وسباهم ، ثم بنى القصر ، وسدد جميع الشوارع التي تنفذ عليه إلا شارع الثميري ركَّب عليه باباً ، وأمَّر عجلان بن محمد بدل ابن ضبعان [3] .. ولما جاء دور السنة في

شعبان حدرت للحساء ، وفي اليوم الذي وصلت فيه الحساء وافقني عبدالعزيز العجاجي ، وسلمت عليه ، وسألني عن الرياض وأحواله ؛ فعلمته بما سوَّى ابن سبهان في سبيه أهل الرياض ومبناه القصر ، وقلَّطني ، ولقيت عنده رجالين ما عرفتهم ، وقال لي : أنا سمعت أن عبدالعزيز ينوي يهجم [على] الرياض مرة ثانية .. هل سمعتم هذا الخبر ؟ .. قلت : ما سمعت .. قال : وش رأيك ؟ .. قلت : القصر محصن ، ولا له منفذ إلا من عند شارع الثميري ، وصعب الوصول إليه ، وفيه مئتي رجال لابن رشيد .. قال : أنت رجل مأمون السد، وموثوق بك، وهذين الرجلين مناور السبيعي ، وسعد بن بخيت رجاجيل عبدالعزيز مروحهم علينا ومعهم حصان هدية للقمنطار ، ويبى يعيره المدفع ؛

(١) منيحيز شرق مقبرة العود ، وقد دخل في العمران [الغانم] .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : هذه رواية من الهزاني : عن ابن سبهان أن الأمير : ابن ضبعان .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : هذا نص صريح لا يُحمل على الوهم ؛ لأنه ذكر الاثنين معاً .

ليهجم به على الرياض .. قلت : الله يكفينا شره .. والله إن هجم على الرياض وعوَّد مثل العام : إن يذبح ابن رشيد شباب وشيبان أهل الرياض .. قال : من يقدر يرد عزم عبدالعزيز ، والرجال مندفع : إما يتولى الرياض ، وإلا يموت .. وهذا هو على الجافورة[1] .. قلت : ما ينفع المدفع يجره من الحساء إلى الرياض

(١) قال أبو عبدالرحمن : قال الشيخ حمد الجاسر عن الجافورة في كتابه معجم المنطقة الشرقية ٣٥٦/١ ـ ٣٥٨ : «بالجيم مفتوحة بعدها ألف ففاء مضمومة فواو ساكنة فراء مفتوحة فهاء : صحراء واسعة جداً ، رملية ، صعبة المسالك ؛ لغزارة رملها .. تمتد شمالاً من العقير شرق الأحساء من قرب بقيق بلسان ضيق ، ثم يعرض شيئاً فشيئاً بعد تجاوز سواد الأحساء جنوباً حتى يبلغ اتساعها قرب حرض في الجنوب الغربي ؛ فيبرين ؛ فتتصل بالربع الخالي .
وتمتد شرقاً إلى ساحل البحر ؛ فخليج سلوى ، وفي جانبها الشرقي مياه كثيرة .. أما في وسطها فهي قليلة المياه .. واسم الجافورة من الأسماء الحديثة ، ولعله أخذ من وصفها حيث تحيط بها المرتفعات من الغرب ومن الشرق ، وتبدو كأنها وهدة من الأرض التي تكثر فيها الرمال ؛ فيصعب السير فيها.
ويظهر أنها هي ما كان يعرف قديماً باسم بينونة الدنيا ؛ إذْ بينونة القصوى لا تزال معروفة الآن .
وتحد الجافورة من الغرب بمنطقة الأحساء ؛ فمرتفعات الأغوار ، فبرقاء الضمران ، فواحة يبرين والخن الواقعة في طرفها الجنوبي الغربي .. أما من الشرق فتتصل برمال الربع الخالي ، ويحدها شمالاً ساحل البحر الممتد من جنوب العقير حتى رأس سلوى ؛ فالجيبان فالجوب فصحراء السنام .
وأقصى امتداد للجافورة نحو الشمال شمال العقير عند خط العرض .. - ٢٦ درجة تقريباً وطولاً ٥٠ - ٤٩ شرق ، ثم ٣٠. - ٤٩ إلى عرض .. - ٢٥ ، ثم ١٠. - ٤٩ عند عرض .. - ٢٤ .
تختلف الجافورة عن الربع الخالي العديم المياه : بأن فيها بعض الآبار القليلة ذات المياه المرة ، وقليل من الأماكن للرعي .. ويتكون سطحها من رمال حمراء ، وقد غامر العجمان بارتياد الحد الشمالي للجافورة .. غير أن قبيلة آل مرة القوية هي القبيلة التي استطاعت التردد على الجافورة بصورة دائمة بحيث أنها لا تتوقف عن دخولها إلا في فصل الشتاء أو بحثاً عن هارب من أعدائهم الأشد منهم قوة.
ويقال : إن آل مرة عندما يكونون في الجافورة يلبسون نعالاً من نوع غليظ مصنوعة من شعر الإبل.. وإذا صدقت الإشاعة المعروفة عنهم فإن أفراد هذه القبيلة يقضون معظم أوقاتهم في الجافورة، ولونهم داكن بصورة غير عادية ، وكذلك جمالهم تكاد تكون حالكة السواد .. وعند إقامة قبيلة آل مرة في الجافورة لا يشربون شيئاً سوى ألبان إبلهم ؛ حتى أنهم يطبخون بها الأرز ، وإذا اضطروا لشرب المياه من الآبار فإنهم يخلطونها بالتمر حتى يصبح طعمها مقبولاً» .

بي تشوفه [١] العربان ، ويواصل خبره الرياض ، ولكن رد الحصان ووصّلني عبدالعزيز .. فجهَّزَ لي ذلول ، وركبت مع رجاجيل عبدالعزيز ومعنا الحصان ، ويوم شرفنا على الجافورة بعد طلوع الشمس وإذا هو يترقب لنا يوم شاف الحصان .. قال : رد الحصان ابن(...) [٢] .. يعني القمنطار ، أشوف معهم ثالث .. ولما نوخنا دخل عليه مناور السبيعي وابن بخيت وأخبروه بكلامي مع العجاجي، ثم دخلت عليه، وسلمت، وأخبرته عن أحوال الرياض .. قال : وراك ترد الحصان .. قلت : طول الله عمرك أنت تبي المدفع ، والمدفع فضيحة عليك، وبي تشوفه البادية ، ويواصل خبره الرياض قبل تاصلون .. ولكن توكلوا على الله وامشوا في الليل ، واهجعوا في النهار .. وإذا قربتم من الرياض فشوفوا لكم محلاً ، وعقلوا جيشكم فيه ، وامشوا رِجْلِيَّة حتى تاصلون ، وتشوّفوا لكم مدخلاً تدخلون منه .. وإذا سهل الله ، ودخلتم بنجي[٣] مع شارع الظهيرة، ونطق على جويسر ؛ لأن بابه على السوق ، وندخل بيته ، وننقز[٤]منه على بيت محمد الشايقي .. وبيت عجلان في ظهر بيت الشايقي، وأنا خابر فيه فرجة بينه وبين بيت عجلان.. والشايقي من جماعتي، ويعرفني.. التفت عبدالعزيز على الذين عنده ، وقال : وش رأيكم ؟ .. قالوا : والله ما ندري .. هذا كلام مجلس، والأمر بيد الله .. قال : توكلنا على الله : اركب يا

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : بي تشوفه ، وبتشوفه : ستراه .. والأصل تبغي ـ أي تريد ـ تراه .

(٢) يحتمل أنه حَرَّف كلمة «قو مندان» إلى قمنطار .. وتعني القومندان رئيس الفرقة العسكرية في اللغة التركية كما ورد في المعجم التركي التراثي لشمس الدين سامي المطبوع ببيروت سنة ١٩٨٩م ص١١٣.

(٣) قال أبو عبدالرحمن : بنجي : سنأتي .

(٤) قال أبو عبدالرحمن : ننقز : نقفز .

عبدالعـزيز بن جلـوي ، ورح جنـوب شف وين البادية ؟ .. وأنت يا عبدالله اركب للشمال ، وشف أخبار ابن رشيد ، ووعدكم الدغم [١] إن شاء الله .. وركبنا من الجافورة .. يوم وصلنا الدغم ألفوا علينا عيال ابن جلوي ، وقال عبدالعزيز : البادية منحدرين يم الربع الخالي يدورون الربيع .. وقال عبدالله : ابن رشيد على الأجفر في الشمال .. ثم مشينا من الدغم ، ولما أقبلنا على السلي وإذا عليه قطين من سبيع ؛ فتقدم عبدالعزيز بن جلوي ونصى[٢] أمير القطين ، وقال له : هذا عبدالعزيز بن عبدالرحمن واصلكم يبي الرياض.. فأمر أمير القطين أهل القطين يركبون خيلهم، ونطحوه، وعرضوا له ، وقالوا : الله يحييك : حنا خوياكم خدام وقدام .. قال : هذا ظني فيكم ولا أشك فيكم ، ولكني أشح عليكم .. أخاف ما ينجح لنا درب ، ثم يجي ابن رشيد ويسباكم ، ولكنا بنخلي [٣] ثقلتنا عندكم إن وفقنا الله روحنا لكم ، وإلا أنتم تبقون على عزيزتكم[٤] وتسلمون من ابن رشيد .. ثم قال عبدالعزيز : شوفوا اثنين يركبون خيلهم ويا صلون معيزيلة يشوفون ما هنا أثر رايح للرياض .. وركبوا ورجعوا ما شافـوا شيئ .. ولما تعشينا عندهم خلّينا ثقلنا، ومشينا من السلي بعد المغرب، وبينما حنا نمشي انعس عبدالعزيز، وتياسرت به ذلوله، ثم انتبه وذكر الله، وقال : كأني متياسر عنكم.. قلنا : شفناك منعس ولاحبينا نوقظك .. قال: أبشروا بالنصر ، والفـال الطيب إن شاء الله .. في نعستي بين يدي سراج

(١) الدغم جبال سود أعلاها رمل ، ومجللة بالرمل تقع شرق الجنادرية والسلي .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : نصى : قصد .. أي اتجه إلى ناصيته .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : بنخلي : سنترك .

(٤) قال أبو عبدالرحمن : أي تبقون على مقام عزيز عندي ، وعند خصمي ابن رشيد .

أبو دنان[١] ونفخته وطفا ، ووعيت .. ولما وصلنا الوطاة [٢] نوخنا، ونقّى عبدالعزيز منا خمسة وأربعين رجال، وقال لأخيه محمد: حنا بندخل[٣] الرياض، وأنت خلك عند خويانا إن حصل علينا شيئ تفزعون .. قال محمد : والله ما أتأخر عنك شبراً واحداً .. دربي دربك نحيا أو نموت .. قال : اجلس عندهم يا عبدالعزيز بن مساعد .. ثم دخلنا مع الظهار [٤]، وحولنا على البطحاء ، ثم قطعنا مع مقبرة شلقا، ودخلنا مع ثلمة في حويط المداوات [٥] ، وحولنا على شارع الظهيرة .. لما مرَّينا على باب ابن حوبان قال عبدالعزيز : فسخوا نعالكم، وارموها في مجبب ابن حوبان .. ثم جينا بيت جويسر ، وضربت الباب فحوَّل علي ، وقال : عويذا الله منك يا فلان .. يعني واحداً من أخويا عجلان يظنه هو ؛ لأن عنده بنات ويخاف عليهن .. قلت : ما أنا فلان .. أنا عبدالله بن عثمان الهزاني ؛ افتح هذا عبدالعزيز بن عبدالرحمن .. قال : خله يكلمني أنا أعرف صوته .. فكلمه عبدالعزيز، وقال: جويسر: افتح افتح .. ففتح ودخلنا، وقال له عبدالعزيز : ادخل عند عيالك، وخل عندهم رجال .. ثم نقزنا على بيت

---

(١) أبو دنان سراج صغير يصنع من التنك .. يصب فيه قاز ، ويوضع فيه ذبالة [الغانم] .

(٢) الوطاة الملز ، وموقعه ملعب الصائغ .. يؤكد ذلك ما حدثني به الشيخ علي بن عبدالله بن مسلم إمام الملك سعود رحمه الله .. قال : كنا يوماً مع الملك عبدالعزيز في الملز ، وكان الأمير عبدالعزيز بن مساعد حاضراً ؛ فقال للملك : ترى هذا محل خويانا ليلة دخلنا الرياض .. قال الملك : أنت داخل معنا ؟ .. أنت جلست مع المعقل .. قال : ما جلست متأخراً .. جلست بأمركم [الغانم] .

قال أبو عبدالرحمن : هذا ما ورد عند بعضهم .. وجمهور من المؤرخين يؤكدون أنه ضمن الأربعين ، ولكنه لم يكن من السبعة الذين دخلوا بيت جويسر .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : بندخل : سندخل .

(٤) الظهار ظهار المرقب [الغانم]

(٥) ثلمة المداوات شمال بيت الشيخ عمر الذي في الظهيرة [الغانم] .

محمد الشايقي ، وقلت لعبدالعزيز : خلني أحوِّل عليه ؛ حيثه[1] يعرفني .. فحولت على بطن البيت وناديته : يا محمد .. فجاوبني ، وقال : وش أنت ياهذا .. قلت : أنا عبدالله بن عثمان الهزاني .. اظهر في وجهي وأمان الله .. قال : وين جيت وأنت في الحسا؟ .. قلت : هذا عبدالعزيز وخوياه في السطح؛ فظهر ، ورقا على عبدالعزيز ، وسلم عليه .. قال له عبدالعزيز : ادخل عند عيالك .. قال : لا والله أنا واحد من خوياكم .. قلت : طول الله عمرك أنا كفيله [2] .. وصكّ عبدالعزيز على عياله ، وخلى عند الباب واحد ، وقال له : وين الفرجة التي بينكم وبين بيت عجلان ؟ .. ولقيناها مسدودة ؛ فجذبنا لبنها، ودخلنا منها على بيت عجلان .. ولما تكاملنا في السطح شفنا الضو مع فرج الروشن ، وطل عليها عبدالعزيز، وقال : هذي زعيفرين عبدة أبوي فيصل تزيِّن القهوة ، وهي تعرفني .. أبا [3] أحول عليها قبل لا تنفجع ؛ فحول عليها يناديها : يازعيفرين .. قالت : بسم الله الرحمن الرحيم : وش أنت يا هذا ؟ .. قال : أنا عمك عبدالعزيز بن عبدالرحمن .. فهلّت ، ورحبت ، وحولنا على الروشن ، وقامت تقدم لنا القهوة والشاهي والزنجبيل وصفايط [4] القرصان ، وعليق [5] الرطب، وقالت : ابشر يا عمي : أنا اللي افتح الباب لعجلان .. يلبس دراعتى هذا العبد (تعني سعد بن بخيت)، ويفتح الباب لعجلان، وتقضبونه بيديكم.. والله إن عبدالعزيز مدد رجليه وحاط القرصان

(١) قال أبو عبدالرحمن : حيثه : حيث أنه .. أي لأنه .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : يعني لثقتي به أكفل مغبة مرافقته لنا .

(٣) قال أبو عبدالرحمن :أبا : أبغي .. أي أريد .

(٤) قال أبو عبدالرحمن : صفايط : مصفوطة .. أي بعضها مثني على بعض.

(٥) قال أبو عبدالرحمن : عليق : عذوق مجذوذة معلقة على وتد وشبهه .

في شقه ، ويأكل بيديه الثنتين، ويقول : أكلوا يا مطاقعة : إما صار ريوقكم وإلا حنوطكم[1] .. ثم قال للعبدة : وين زوجة عجلان ؟ .. قالت : نايمة في الغرفة هي ومرت [2] محيسن .. قال عبدالعزيز: وها اللولوة بنت ابن حماد هي أختي من الرضاعة .. أبا أروح لها ، فراح لها ووقظها .. قالت : وش أنت يا هذا ؟ .. قال : أنا أخوك عبدالعزيز بن عبدالرحمن .. قالت : استرني الله يسترك .. ثم روَّح عبدالعزيز سبعان للشيخ عبدالله واسأله [3]: هل عندهم منا خبر ، ويعطينا رأيه ؟ .. فراح سبعان ، وقال : أنا في بيت عجلان ، ويقول عبدالعزيز : هو عندكم عنا خبر ، وعطنا رأيك .. قال الشيخ : وش دبرتكم ما

(١) قال أبو عبدالرحمن : الريوق : الفطور ؛ لأنه أول ما يختلط بالريق .. والحنوط قال عنه الزبيدي في تاج العروس .١٠ / ٢٢٤ - ٢٢٥ : «والحنوط والحناط كصبور وكتاب : كل طيب يُخلط للميت خاصة .. قاله الليث ، وقال ابن الأثير : لأكفان الموتى وأجسامهم من ذريرة أو مسك أو عنبر أو كافور وغيره من قصب هندي أو صندل مدقوق مشتق من حنط الرمث ؛ لأن الرمث إذا أحنط كان لونه أبيض يضرب إلى الصفرة ، وله رائحة طيبة .. وشاهد الحناط ما روي عن ابن جريج .. قال : قلت لعطاء : أي الحناط أحب إليك ؟ .. قال : الكافور .. الحديث .. وقد حنطه يحنطه هكذا في النسخ ، والصواب : حنطه بالتشديد ، وأحنطه .. قال رؤبة :

قد مات قبل الغسل والاحناط
غيظاً وألقيناه في الأقماط

فتحنط هو .. وفي الصحاح : والحنوط : ذريرة ، وقد تحنط به الرجل، وحنط الميت تحنيطاً .. انتهى، وفي قصة ثمود : لما استيقنوا بالعذاب تكفنوا بالأنطاع وتحنطوا بالصبر ؛ لئلا يجبفوا .. وفي حديث ثابت بن قيس : وقد حسر عن فخذيه وهو يتحنط .. أي يستعمل الحنوط في ثيابه عند خروجه للقتال ، كأنه أراد به الاستعداد للموت ، وتوطين النفس بالصبر على القتال» .

قال أبو عبدالرحمن : والحانط عند العوام ذو الطعم اللذيذ .. شبه أكلهم بحنوط الميت ؛ لأنه آخر ما يصطحبه في قبره من متاعه ، وليس ثمَّ من يعمل لكم حنوطاً ؛ فهذا الأكل يقوم مقامه .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : ومرت : وامرأة .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : واسأله : أي أمره أن يسأله .. والتقدير : روَّحه - أي أرسله - وقال له : اسأله .

عندنا عنكم خبر .. قال : بيلبس [1] سعد بن يخيت دراعة العبدة ، ويفتح الباب لعجلان ، ونقضبه .. قال : لا يصير همكم عجلان .. احرصوا على باب القصر لا يُصك ثم تعودون مثل العام .. وعوَّد سبعان ، وعلَّم عبدالعزيز بكلام الشيخ .. لما صلينا الفجر قال عبدالعزيز لمناور السبيعي - معه بندق صمعا وهو بواردي - : أرق السطح ، وخلك على المزاغيل [2] ، وإذا سمعتني أنتخي[3] ؛ فلا أوصيك .. وصرنا بين المجبَّب [4] وبطن البيت مثل الحب في المقلاة ما تشيلنا الأرض .. ولما طلعت الشمس فتحت خَرْقة باب القصر ؛ فظهر سعد بن براك الملقب بورير، وذكر الله ، وصلى على محمد ، وقال : ذهبوا وذهب كل عدو .. ثم ظهر رجالين ، وركبوا خيلهم ، وداروا على القصر ، ثم هج الباب ، وظهر عجلان ونصا الخيل .. لما شافه عبدالعزيز ، وانتخى ، وهجم عليه ؛ فعود يبي القصر وإذا الباب قد صك ، ورماه مناور السبيعي ؛ فضربته [أي الرمية] في أسفل ظهره ، وظهرت من تحت سرته ، ولحقه عبدالعزيز عند الخرقة وقضبه برجله ؛ فرفس عبدالعزيز وانطلق منه ، ودخل القصر ، وزرجه فهد بن جلوي بحربته ؛ فصارت في باب الخرقة .. ووصل مع

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : بيلبس : سيلبس .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : وتسمى أيضاً المزاغير ، وهي الفرج الصغيرة في المقاصير ، وفرج المثاعب التي تصرف سيول البيت .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : أنتخي : أعتزي كأن أقول : أنا أخو نورة ، أو أنا أبو تركي ، أو أنا ابن فيصل ، أو أنا ولد عبدالرحمن .

(٤) قال أبو عبدالرحمن : المجبب : ساحة في البيت أسفله بين الغرف السفلى (الصُّفاف جمع صفة) يكون مسقوفاً مسدوداً من كل الجوانب .. ويطلق أيضاً على الساباط ، ويسمى مرملاً ، وهو كل سقف بين بيتين .

عبدالعزيز إلى باب القصر أخوه محمد وفهد وعبدالعزيز وعبدالله الجلوي ، وناصر بن سعود ، وسبعان ، ومطلق بن عجيبان، وأنا .. وبغى عبدالعزيز يلحق عجلان ومنعناه [١]، ثم التفت على عبدالله بن جلوي ، وقال : تكفى يابو محمد ؛ فدخل عبدالله بن جلوي ، ولحق عجلان في المسجد .. يوم شافه عجلان قال : تراني في وجهك يا أبو محمد .. قال : ما أنا أبو محمد ، أنا ولد رقية .. لأن عجلان كان يسميه ولد رقية ، وأظهره من المسجد، وذبحه، ودخل عقب ابن جلوي سبعان، وطلع السطح، وذكر الله ، وصلى على محمد، ونادى: الملك لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل السعود .. اظهروا يا أهل المرابيع بعهد الله وأمانه في وجه عبدالعزيز بن عبدالرحمن .. وطب محيسن أخو عجلان على السوق من المربعة الغربية الجنوبية ، وانكسرت رجله ، وذبح في محله ، وربطت غترة عجلان في رجله ، وسحب إلى البراحة .. وذبح في مركاضنا مع عبدالعزيز زيد بن زيد واثنين معه ، وصوب إبراهيم النفيسي .. شالت البندق إذنه .. ولما فضنا على سوق الثميري يبي عبدالعزيز البراحة ، ودخل عقب سبعان مطلق بن عجيبان ، ولقا مفتاح الباب معلق ؛ ففتح الباب وهجه [٢] : ظهر علينا مع الخان عبدالرحمن بن طياش يهلي ويرحب .. قال عبدالعزيز : وش تقول يا بكية [٣] - قال ابن طياش : أما اليوم تو ما طاب

---

(١) في نص فؤاد حمزه : أن الذي منعه أخوه .. قال أبو عبدالرحمن : ولا تنافي بأن يكون المنع مشتركاً .. إلا أن الصوت والعزيمة على المنع والميانة كانت للأمير محمد .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : لعله يريد فتح دروازة الثميري .

(٣) لأن عبدالعزيز قال له وهو في الأحساء : أبا أعود على الرياض وخلك معنا .. قال ابن طياش : العويذا بالله منك ..فكّنا .. والله إن جيت الرياض وعودت مثل العام إن يذبح ابن رشيد أهل . الرياض ويهدمها ، ثم بكى ابن طياش .. وقال : إنا إلى الله يا عبدالعزيز .. متى نشوفكم في الرياض ؟! [الغانم] .

نومي ، والماعلى كبدي قراح .. فضنا[1] على البراحة، وظهر علينا سليمان بن حوبان يهلي ويرحب .. قال له عبدالعزيز : احرص على النعال ياسريح[2].. ثم ظهرعلينا الشيخ عبدالله بن عبداللطيف .. قال ابن طياش لعبدالعزيز : وهذا الشيخ ؛ فقضب عبدالعزيز السيف .. قال ابن طياش : هذا الشيخ عبدالله بن عبداللطيف .. فنطحه عبدالعزيز ، وحب خشمه ورأسه [3].. وجمع الشيخ غترة عبدالعزيز على صدره ، وقال : طالبك أهل الرياض محسنهم ومسويهم .. قال : إلا سبعة لو يظهر أبوي فيصل ما أعطيتهم إياه .. خلني أبرد كبدي وكبدك ..هم اللي روَّحوك لحايل .. قال الشيخ : من عفا وأصلح فأجره على الله .. قال عبدالعزيز : عفينا يا شيخ .. ثم سأل عبدالعزيز عن أناس منهم عقاب عُبيدٌ لابن رشيد ؟ .. قيل له : إنهم عند ابن سويلم .

قلت له : طول الله عمرك : ترى لآل سويلم قبو يظهر على الغراوية .. أخاف يُظهرهم معه .. قال : رح اقضبه[4].. ولما جينا عند قليب فيصل وافانا

(١) قال أبو عبدالرحمن : فضنا : خرجنا .

(٢) يقصد النعال التي رموها في بيته آخر الليل كما تقدم ، وسريح لقب لابن حوبان [الغانم] .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : تفاصيل ذلك عند الشيخ محمد آل الشيخ كما سيأتي من سياقه .

(٤) يؤكد صحة هذه الرواية أنني في عام ١٣٦٧هـ كنت فيي مجلس سمو الأمير سلطان بعد الظهر ؛ فقال سموه : اليوم حدثت قصة غريبة .. لما ظهر الملك من القصر وإذا شايب كفيف ؛ فتقدم وسلم على الملك؛ فقال له الملك : أنت عبدالله بن عثمان الهزاني ؟ .. قال : نعم .. قال له الملك : نسيت قبو السويلم ؟ .. قال : ما نسيته طوَّل الله [عمرك] .. أشوى [بمعنى : الحمد لله ، وجميل] إنك تذكر لنا بعض الشيئ .

قال : ما نسيت ، ولكن ما قد شفتك ، وأنا مشغول ..ثم قال الملك للسائق عبدالكريم : عطنا الكيس الذي عندك ؟ .. وأعطاه إياه .. والكيس يوضع عادة تحت رجل الملك في السيارة .. فيه أربعة آلاف يوزعها جلالته في الطريق .. وقال الملك لعبدالله بن سبيت : اكتبوا دينه ، وأمر له بمرتب يصرف شهرياً [الغانم] .

ابن سويلم .. قال له عبدالعزيز: عبيد ابن رشيد عندك ؟ .. قال : نعم .. قال: رح أظهرهم .. ولما وصل عبدالعزيز باب ابن سويلم أظهرهم عليه (١) ؛ فضرب عبدالعزيز واحداً منهم بالسيف ؛ فطارت ذبابذ السيف، ولا يدرى وين راحت .. وذبح الثانيَ واحدٌ من أخوياه (٢).. ثم عوَّد عبدالعزيز علي البراحة، وجلس فيها، ولا درينا إلا بالرمي والعرضة من عند دروازة المذبح .. قال عبدالعزيز: شوفوا ويش هذا ؟ .. قيل له : هذولا أهل ضرماء يعرضون، ونشيدتهم :

الديرة اللي تو عزها ما جاها

طيرحوران تعجبني مضاريبه(٣)

عقب ماهي عجوز عوَّد صباها

زينها اللي مضى قامت تماري به

ذِبْح عجلان فيها ما تعداها

ما حلا عند باب القصر تسحيبه(٤)

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : وعند الشيخ محمد زيادة تفصيل .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : حصل من عجلان وقومه إيذاء لخاصة ال سعود بالرياض ، وكان عبدالعزيز يعرف المباشرين بأعيانهم ؛ فأراد أن ينتقم منهم ؛ لأجل ظلمهم .. وصمت التاريخ عن ذكر أحداثهم .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : الشطر الأول منكسر .

(٤) قال أبو عبدالرحمن : في الأصل : ياما حلا .. وزيادة «يا» تكسر البيت .. قال الأستاذ ابن خميس عن الشاعر والقصيدة في كتابه أهازيج الحرب ص ٢١٠ : «الحوطي شاعر مقل من بلدة ضرما أول ما تفوه به من شعر حربي حينما فتح الملك عبدالعزيز الرياض واجتمع أهالي الرياض يحيُّون أميرهم القادم الجديد .. كان أول من رفع عقيرته بحربيته المشهورة ذلك اليوم ، ثم تتالت حربياته .. ومع كونه مقلا فلم يحظ برواة يحفظون شعره ، ويروونه في مناسباته .

قال أبو عبدالرحمن : ثم أورد قصيدته ص ٢١١ ، وهذا نصها : ==

فلما وصلوا قالوا : طـول الله [عمرك] : حنا أهل قصور ضرما .. أمس العصر جالسين في المشراق ؛ فأقبل علينا رجَّال يسوق ذلوله ؛ فاعترضناه ، وقلنا : ويش أمرك ؟ .. قال : سمعت أن عبدالعزيز في السلي ، وأبا أروح لجماعتي أهل المزاحمية يفزعون معه ؛ فسرينا تو حنا واصلين [1] .

قال عبدالعزيز : بارك الله فيكم .

ثم قال عبدالله بن علي بن حماد لعبدالعزيز : طوَّل الله عمرك : ريوق عجلان اليوم عند اخوي [2] محمد ، وهذا هو زاهب .. اقلطوا كلوه .

قال عبدالعزيز : ما يخالف اقلطوا معنا يا أهل ضرما ؛ فقلطنا على صحن أبو أربع حلاق جريش وقرصان عليه خروف كبر الحاشي .

ولما جا يوم الثاني اجتمع عبدالعزيز والشيخ عبدالله والشيخ حمد بن

== دار ياللي سعدها تو ما جاها
طير حوران شاقتني مضاريبه
صيدته يوم صف الريش ما اخطاها
يوم شرَّف على عالي مراقيبه
جا الحباري عقاب نثَّر دماها
في الثنادي على الهامه مضاريبه
عشقة للسعود من الله انشاها
حرَّمت غيرهم تقول مالي به
عقب ماهي عجوز جدد صباها
زينها اللي مضى قامت تماري به
ذبح عجلان فيها ما تعداها
ما حلا عند باب القصر تسحيبه»

(١) قال أبو عبدالرحمن : وصلنا نحن تواً .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : اخوي : أخي .

فارس وعبدالله بن علي بن حماد ، وقال عبدالعزيز : نبي نبني الحامي .. وأخذوا يتداولون الرأي وعبدالله ابن حماد ساكت .. قال الشيخ عبدالله : وراك ساكت يا أبو علي ؟ .

قال : طوّل الله عمرك رأيكم فيه البركة .

قال الشيخ : ما حضّـرناك إلا نبي رأيك .

قال : الراي كل جهة تبني ما يليها : أهل دخنة لهم من كذا إلى كذا ، وأهل الشرقية تبني من كذا إلى كذا .. وهكذا كل جهة تبني ما يليها .

قال الشيخ : هذا الرأي .. فصار الرجال يصلحون الطين في النهار، والنساء تروي عليه في الليل.. ولا تم أربعين يوماً إلا وأبواب الدراويز مركبة.

قال عبدالله بن حسين الغانم : هذه هي قصة بطولة فتح الرياض بواقعها الحقيقي[1] .. أما ما رواه بعض المؤرخين : أن الملك عبدالعزيز قدم من المنطقة الشرقية بأربعين رجلاً ، وأنه أبقى منهم ثلاثين رجلاً في مشيقيق جهة الشميسي ، وأبقى معهم أخاه محمد ، ودخل الرياض بعشرة رجال .. وقول بعضهم : إنه تسلق السور بالسلالم ، وأنه يرمي عجلان ببندقيته .. وغير ذلك من الروايات : فلا صحة لها مطلقاً ، وإنما هي روايات مختلفة بحسب تصورات رواتها لا تمت إلى شيئ من الواقع »[2] .

قال أبو عبدالرحمن : في رواية فؤاد حمزة أن الملك عبدالعزيز ورفاقه

(١) قال أبو عبدالرحمن : بل ببعض واقعها ؛ فروايته مكملة لرواية الملك عبدالعزيز لفؤاد حمزة ، ورواية الشيخ محمد آل الشيخ .. إلخ .

(٢) سألنا عبدالله بن عثمان الهزاني عن عدد الجيش الذي قدم به عبدالعزيز لغزو الرياض ؟ .. فقال : ثلاثمئة [الغانم] .

وسط الربع الخالي كل شهر شعبان إلى عشرين رمضان .. وفي رواية الهزاني أنه أدرك عبدالعزيز في الجافورة في شعبان ؛ فهذا وفاق .

وفي رواية فؤاد حمزة أن عبدالعزيز ورفاقه تركوا رفاقهم وجيشهم بضلع الشُّقيب ، ومشوا على أرجلهم الساعة السادسة ليلاً ، وترك عشرين رجلاً عند الجيش ، ومضى أربعين ؛ فلما أقبلوا على البلد ترك ٣٣ رجلاً منهم أخوه محمد ، ومشى عبدالعزيز ومعه ستة غيره .

وفي رواية الهزاني أن سيرهم من السلي بعد المغرب ، وأنه أناخ في الملز (ملعب الصايغ) فاختارخمسة وأربعين من رجاله ، وطلب من أخيه محمد أن يبقى في الملز مع بقية الجند ، ولكنه أبى وجلس مكانه عبدالعزيز بن مساعد ، ثم مروا بالمرقب ؛ فالبطحاء ؛ فالظهيرة ، ورموا نعالهم في مجبب ابن حوبان ، ثم طرقوا بيت جويسر ؛ ففتح ودخل عبدالعزيز ورفاقه ، وبقي جويسر في البيت ، ومنه قفزوا على بيت الشايقي ؛ فرحب بهم ، ورافقهم ؛ ففتحوا الفرجة بين بيته وبيت عجلان ، ومنها دخلوا على بيت عجلان في السطح ، وكان دور العبدة زعيفرين ، وأرسل الملك عبدالعزيز سبعان من بيت عجلان للشيخ عبدالله .. ونقف عند روايته إلى ابتداء القتال .. إلا أن في آخر الخبر عن الهزاني أن الجيش الذي قدم به عبدالعزيز لغز والرياض ثلاثمئة .

قال أبو عبدالرحمن : هاهنا خلاف محتمل وخلاف غير محتمل ؛ فمن المحتمل أن الجيش الذي هو نحو ثلاثمئة بقي في ضلع الشقيب ، ويكون فؤاد حمزة اختصر السياق حسب فهمه ، وفاته شيئ من تفصيل عبدالعزيز ، ثم سار بالستين ، ثم أبقى عشرين مع الجيش في مرحلة بعد ضلع الشقيب ، ويكون الأمير محمد أبى البقاء مع العشرين حسب رواية الهزاني ؛ فسار عبدالعزيز

بالأربعين ، ثم ترك ٣٣ رجلاً منهم محمد لما أقبلوا على البلد ، ودخل هو بسبعة .. وهذا ينسجم مع رواية الرويشد في المراحل لا في العدد ؛ فيكون من فوق الستين بعيدين عن البلد في ضلع الشقيب خارج السور بساعة ونصف للماشي ، ويكون من فوق الأربعين في الجنوب الشرقي خارج السور ، ويكون الأمير محمد ومن معه حائط ابن حوبان في الظهيرة .

وبقي الخلاف في عدد من صحب عبدالعزيز إلى الرياض ؛ فهم في رواية فؤاد حمزة أربعون، وفي رواية الهزاني خمسة وأربعون؛ فلنرجئ البت في ذلك .

وعبدالعزيز عد الستة الذين معه، وهم ثلاثة من آل جلوي، وناصر بن سعود ، والمعشوق، وسبعان .. وذكر أن جويسر هرب .. وفي رواية الهزاني أنه بقي في البيت .. قال أبو عبدالرحمن : تناقض ؛ لأن العلم بهروبه كان فيما بعد الحدث ؛ لأن رواية فؤاد عن عبدالعزيز : «ونحن نظنه محبوساً» ؛ فرواية الهزاني على العلم الأول وقت الحدث، وهو الظن بأنه في البيت محبوس .

وذكرت رواية فؤاد حمزة بيتاً بين بيت جويسر وبيت عجلان ، ولم يبين اسم صاحب البيت ، وبينت رواية الهزاني أنه الشايقي .

وإرسال الملك سبعان - وهو في بيت عجلان - إلى الشيخ عبدالله محتملة ؛ لأن رواية فؤاد حمزة نصت على أن الملك عبدالعزيز أرسل عبدالعزيز وفهد ابني جلوي لاستدعاء الأمير محمد بن عبدالرحمن ورفاقه وهو في بيت الشايقي قبل القفز في بيت عجلان .

وفي رواية فؤاد حمزة أنه ركب بعضهم بعضاً من البيت الثاني - الذي هو بيت الشايقي - حتى قفزوا إلى سطح بيت عجلان .. وفي رواية الهزاني أنهم

دخلوا إلى بيت عجلان من النافذة التي فتحوها .. ولا تناقض بين الروايتين ؛ لأن الروايتين معاً دلتاً على أن العبور من الفرجة لا يكون إلا بركوب بعضهم على بعض ، وهذا دليل على أنها عالية .

وفي رواية فؤاد حمزة أنهم في بيت عجلان أكلوا من تمر معهم وناموا قليلاً، ثم صلوا الصبح .. وفي رواية الهزاني أن زعيفرين قدمت القهوة والشاي والزنجبيل والقرصان والعليق ، ولم يذكر النوم .. والجمع وارد ؛ فتكون رواية عبدالعزيز مختصرة ، وأنهم أكلوا من هذا وذاك ، أو يكونوا أكلوا من تمرهم قبيل النوم ، وأكلوا ما قدمته زعيفرين بعيد النوم ، وذلك هو الأقرب ؛ لأن ما بعده إلا المعركة، وقد سماه عبدالعزيز حنوطاً في أحد الخيارين المحتملين .

والهزاني ذكر أنه مع عبدالعزيز لما دقوا على جويسر، وعبدالعزيز لم يذكر غير ستة معه ليس الهزاني بينهم .. وهذا الاختلاف الجوهري أترك البت فيه إلى ما سيأتي من روايات .

وأما سعد بن بخيت فقد بدأ ذكره من بيت عجلان ، وهذا يعني أنه جاء مع الأمير محمد .. وهكذا مناور إلا أن الهزاني نسبه سبيعياً ونسبه الشيخ سعد الرويشد عنزياً .

وفي رواية الهزاني أن المعركة بعد طلوع الشمس ، وأن مناور رمى عجلان من مزاغير [1] بيت عجلان نفسه برصاصة ظهرت من تحت سرته ، وأن الملك عبدالعيز لحقه عند الخرقة في الباب وأمسك به برجله إلا أنه رفس عبدالعزيز ، وهرب منه ، ودخل القصر ، وصارت حربة فهد بن جلوي – عندما

(١) هذا هو الاستعمال العامي المشهور ، وبعض العوام ينطقها باللام مزاغيل .

زرجه قبل أن يدخل - في خرقة الباب ، واجتمع عند باب القصر الملك عبدالعزيز ، وآل جلوي الثلاثة، وأخـوه محمد ، وناصر بن سعود ، وسبعان، ومطلق بن عجيبان والهزاني ، ولم يذكروا كيف دخلوا القصر، وذكـر أن عبدالله بن جلوي لحق عجلان داخل القصر ، فأظهـره من المسجد وذبحه ، وذكر أن سبعان أعلن مـن السطـح أن الملك لله ثم لعبدالعزيـز ، وأمن أهل المرابيع، وأن محيسناً أخا عجلان قفز من المربعة ؛ فوقع في السوق كسيراً ، وذبـح محله ، وقتل من قوم عبدالعزيز زيد بن زيد، واثنين معه ، وصُوِّب إبراهيم النفيسي .

وفي رواية فؤاد حمزة أن باب المصمك أقفـل ما عـدا الفتحة ، وأن الملك عبدالعزيز رمى عجلان بالنبدق ، وقال : «يظهر أن البندق أصابته»، وأنه أبى على الملك أخواه أن يدخل القصر ..ولعل «أخواي» تطبيع «أخوي» ؛ لأنه ليس مع عبدالعزيـز من إخوانـه غير محمد ، وأنـه دخل القصر عقب ابن جلـوي عشرة آخرون، وهذا يعني أنه دخل قبلهم عشرة، وفتحوا الباب على مصراعيه، وأحصى عبدالعزيز رفاقه بأربعين عندما ركض جماعتهم لإمدادهم .. فأي جماعة هؤلاء ؟ .. ليكن هذا على بالنا .

وذكر فؤاد حمزة أنه تكسر من جماعة عجلان أربعة، وذبح منهم أربعون، وأن عبدالله بن جلوي ذبح عجلان ..ولا تناقض في كل ذلك، ويترجح أن بندق مناور أصابت عجلان يقيناً ، وبندق عبدالعزيز أصابته احتمالاً ؛ لأن رواية عبدالعزيز ذكرت هذا الاحتمال .

وما بعد ذلك زيـادات لا تَعارُض بينها ؛ فقد ذكر عبدالعزيـز ما أغفلـه

الهزاني ، وأغفل عبدالعزيز ما ذكره الهزاني .. وعبدالعزيز يحمل أعباء دولة ، وليس بوسعه التقصي فيما أملاه على فؤاد حمزة ، وإنما ذكر بعض ما يهم مما عنَّ للذاكرة .

قال أبو عبدالرحمن : وهذا سياق رابع لخصته من مقابلة مع الشيخ محمد بن عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ[1]؛ فقد ذكر أن أمير الرياض عند هجوم الملك عبدالعزيز أيام الصريف عجلان ومساعده ابن ضبعان ، وأن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف أعلن لخاصته نقض البيعة لابن رشيد بعدما حصل منه من انتقام عقب المعركة .. واختصر رحمه الله سياق فتح الرياض ؛ فذكر أن عبدالعزيز في ١٣١٩/٩/٢٢هـ أركب مبعوثاً إلى العربان بأنه بعد العيد سوف يعدو على شمر ، وحثهم على إعداد القوة ، وواعدهم قرية بعد ثلاثة أيام من

(١) مطبوعة بالآلة الكاتبة ناولنيها سَرِيٌّ كريم .. والشيخ محمد رحمه الله فَذٌّ في الكرم ، وقد شارك الملك عبدالعزيز في كثير من غزواته .. قال عنه الشيخ محمد بن عثمان القاضي في روضة الناظرين ٣٢١/٢ : «هو العالم الجليل الشيخ محمد بن عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ : من الوهبة المشارفة : من تميم .. ولد هذا العالم في مدينة الرياض في بيت علم وشرف ودين سنة ١٣٢٨هـ تقريباً ، ونشأ نشأة حسنة ، وقرأ القرآن عند مقرئ بالرياض حتى حفظه تجويداً ، وشرع في طلب العلم ؛ فقرأ على علماء الرياض (ومن أبرز مشايخه عمه محمد بن عبداللطيف ، وعمه عمر ، وسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم) ، وكان يميل إلى كتب الأدب والسير والمغازي ، وأكب على مطالعتها ؛ فصدَّته عما هو أهم منها .. وكان جواداً سخياً بماله ، وكان قد فتح بيته لكل ضيف يزور من العلماء والأعيان ، وإذا حج يتعرض للحجاج فيكرمهم ، فاشتهر بكرمه الحاتمي مما أوجب أن نثبت له ترجمة .. وكان آية في التواضع ، وحسن الخلق ، والزهد ، والورع .. سليم القلب من كل دغل ، مستقيم الديانة .. عزف عن الوظائف ، وكان يكثر من الحج والعمرة ، وجاور زمنا في الحجاز، وكان ذا مكانة مرموقة عند الملك وعند الأمراء وبين الناس ولم تزل هذه حاله حتى وافاه أجله المحتوم مأسوفاً على فقده في ٢٧ من شهر شعبان من عام ١٣٨٦هـ وذلك في جدة ، وصُلِّي عليه في المسجد الحرام ، ودفن في مكة .

العيد .. وأنه في ٢٤ رمضان اتجه بالبادية الذين كانوا معه في مهاجمة الرياض عام ١٣١٨هـ ، وورد أبو جفان [١] وعليه وقيان والغييثات ، فتباعد عنهم ، فعرفوه وطلبوا منه المرافقة ؛ فلم يقبل ووعدهم في المستقبل[٢] ، وأرسل إلى خاصته في الرياض مخبراً من همه بالسطو على عجلان في مسجد العيد ؛ فأشاروا عليه بأن عجلانَ لا يخرج إلا بستة من الجنود ، وأن البنادق تأكل المسلمين في المسجد ؛ فقبل النصح ، وتحرك في ١٣١٩/١٠/٣هـ [٣] سار من

(١) قال الأستاذ عبدالله ابن خميس في معجم اليمامة ٥٦/١ - ٥٧ : « يقع أبو جفان جنوب العرمة الجنوبية .. ينحدر واديه من قمة العرمة مغرباً مع مثل الربع حتى يصب في وادي الترابي مما يلي وادي وسيع، ويلي أبو جفان من الناحية الجنوبية منهل مغيرا ، ويليه من الناحية الشمالية وادي مزمولة.
وتقع ماء ة أبو جفان في أعلى الوادي مما يلي ظهر العرمة ، وماؤه من المياه المشهورة ، وعدد أباره حوالي خمسة وعشرين بئراً ، وأشهرها بئر تدعى القموص ، وهي بئر غزيرة الماء جداً .. وماء هذا المنهل مقبول من حيث إساغته في الشراب خصوصاً آباره (القموص ، وبني كحلة) ، ويقع هذا المنهل على الطريق بين الأحساء ونواحيه والعارض أيام طرق الإبل كانت قائمة والجمل هو وسيلة المواصلات الأولى في جزيرة العرب ؛ فهنالك طرق للإبل مشهورة مسماة لكل ناحية من نجد طريق معروف ، والطريق الذي يمر أبو جفان هو مزاليج ، ثم كان هو الطريق في أول عهد السيارات .. إذا أقبل على أبو جفان انشعب شعبتين : طريق السيارات (ويقال له : الخشبي) ، وطريق الإبل - ويقال له سنام الحوار - ؛ سمى بذلك لأنه يمر بمحاذاة قرين جبل هنالك يسمى سنام الحوار ؛ لدقته واستطالته وبروزه ، وفي هذا المنهل قصر بناه الملك عبدالعزيز من أجل تخزين المواد الغذائية التي تقطع بها الإبل الدهناء وتضعها في هذا القصر وتعود أدراجها ، وتقوم السيارات بنقل هذه المواد إلى الرياض وهكذا .. أما الآن فقد أصبح قفراً من هذه وهذه ، وبقي قصره أثراً .
وأبو جفان من مياه الدواسر للغييثات قوم ابن وقيان ، وهذا المنهل مر به الملك عبدالعزيز في مجيئه لفتح الرياض عام ١٣١٩هـ ليلة عيد رمضان ، هو وصحبه وباتوا عليه ، وفي الصباح استأنفوا مسيرهم للرياض» .

(٨١) قال أبو عبدالرحمن : هذه واقعة غير الواقعة التي ذكرها الهزاني من قدوم من سبيع على الملك عبدالعزيز ؛ فذلك عند إقبالهم على السلي .

(٣) هذا تاريخ التحرك لا الوصول ، وهو الموافق لنقل فؤاد حمزة .

الحمى الوادي المعروف بين أبو جفان والرياض ، وفي الساعة السادسة ليلاً أناخ بأبو غارب [1] الجبل الممتد جنوباً وشمالاً ، وأناخ في شرقيه ، واستدعى الأمراء من أسرته ممن معه ، وفاتحهم في الدخول إلى الرياض ، وعزم على البادية

---

(١) قال الأستاذ عبدالله ابن خميس عن دعكنة في معجم اليمامة ١/٤٢٨ - ٤١٩ : «بفتح الدال والعين، وإسكان الكاف وفتح النون فهاء (وزن نادر في مسميات اليمامة) .. وهذا شعب جنوب الرياض قريب منها بما مسافته نحو من عشرة أكيال .. يسيل مغرباً ويدفع في وادي حنيفة مقابل مدفع البواقر فوق عريض ، وتحت المنصورية .. وهو شعب واسع ذو مساوح وقريان ، وفروعه كثيرة منها شعب الشقيب ، وهذا يسيل مما خلف طريق الخرج شرقاً من جبل أبي غارب الجبل الذي أخفى الملك عبدالعزيز ركابه فيه حينما هم بفتح الرياض ، ثم يعود فيسيل غرباً ماراً من تحت طريق الخرج مما يلي مستشفى العزل .
وفي أسفل دعكنة مما يلي المنصورية مزارع وآبار ، وبعض روافد هذا الشعب تأتي من الربوة التي بها مصفاة الرياض للنفط» .
وقال في ١/٤٩٠ عن حدود الرياض : «جمع الروضة مأخوذ من طبيعتها وتكوينها ؛ فلقد كانت في يوم من الأيام مدفع سيل وادي الوتر (البطحاء الآن) في هذا المستقر الرحب الذي يحده من الشمال حزن (الوشام)، ومن الغرب حزن (أم سليمة) و(الشميسي)، ومن الجنوب حزون ومرتفعات متطامنة مما يلي (مقرن، وظهرة منفوحة، وحزن خنشليلة، ومن الشرق جبل أبو غارب وحزون الملز».
وقال في ٢/٦١ عن الشقيب : « بضم الشين المشددة ، وفتح القاف فياء ساكنة وباء تصغير شقب ، وهو المضيق في الجبل أو الشق فيه .. وهذا شعب يقع جنوبي الرياض قريباً منها ، ينحدر من جبل أبي غارب ، ويذهب مشرقاً فمجنبًا فمغرباً حتى يصب في وادي دعكنة ، ويمر أعلاه محاذياً لمصنع الأسمنت من الشمال ، ويعود فيمر شرقي جنوبي مصنع الجبس ، ويقطع خط الخرج مغرباً .
وفي أعلى هذا الوادي في جبل أبي غارب كمن الملك عبدالعزيز ليلة هجومه لفتح الرياض .. كمن فيما يشبه الدارة ، وقد وقفت على هذا المكمن مع بعض رفقة الملك عبدالعزيز الذين كانوا معه في هجومه ، وقد ذهبنا مع سمو الأمير متعب بن عبدالعزيز لتحقيق هذا المكان» .
وقال في ٢/٢٠٩ : «أبو غارب بفتح الغين فألف وراء مكسورة فباء كغارب البعير ونحوه : جبل يقع شرقي الرياض يميل إلى الجنوب ، يقع بين مصنع الترابة (الإسمنت) وبين الرياض ، منقاد من الشمال إلى الجنوب ، ذو فرائد ورؤوس ، وداخله دارة خبأ فيها الملك عبدالعزيز ركابه ليلة فتح الرياض ، وقفت عليها مع بعض المهتمين بتاريخ هذه البلاد ، وفي مقدمتهم الأمير متعب بن عبدالعزيز ، وأرانا بعض من كانوا معه تلك الليلة أين خبأوا مطاياهم من هذه الدارة ، وهي ليس بينها وبين المسلخ الواقع على طريق الخرج إلا ما يقرب من نصف كيل شماليه» .

بالتريث في أماكنها ؛ فساروا حفاة على الأقدام ، وجعلوا العود (نخل ابن يحيان) يسارهم ، وشقوا طريقهم من المرقب شمالي البديع حيث جعلوا البديع يسارهم ، ومروا مسجد الحسي في البطحاء ، ومنه إلى دروازة آل سويلم مارين بشلقا ، وتجاوزوا دروازة الظهيرة (النقبة) ، ومن السوق النافذ على مسجد الظهيرة اتجه إلى نخل ابن حوبان وقد غرس بستاناً حديثاً خارج البلد ؛ فقرعوا الباب ودخلوا الحائط ، ثم دخل باثني عشر رجلاً الساعة الثامنة ليلاً ؛ لدخول بيت جويسر ، ثم فتح جويسر لهم بعدما عرفت بنته صوت عبدالعزيز ، ثم تأكد هو من ذلك ، وأنهم نزلوا من بيت جويسر مباشرة إلى بيت عجلان .. إلى أن ذكر القهوة الجاهزة والروب والألبان وعذوق الرطب المعلقة بالحبال ، وأنه أرسل يوسف بن مشخص إلى أخيه محمد [١] ؛ ليقدم عليه بمن معه ، ولم يذكر نومهم ، وأنهم بعد صلاة الفجر ألبسوا ابن بخيت لباس امرأة ؛ ليفتح لعجلان ويغلق الباب .. إلا أن عجلان أبطأ ؛ فقرر عبدالعزيز الخروج إليه أمام قصر المصمك ؛ فلما رآهم عجلان انقلب ليعود إلى القصر ؛ فصاح عبدالعزيز بأعلى صوته : ما ابطاك يا الصيد ما احد ذيرك !! .. وأصابه بالبندق في شاكلته ، ثم ذكر إفلات عجلان ولحوق عبدالله بن جلوي به ، وأنه ألفاه زابناً المسجد فقتله، وأن مطلق بن عجيبان طب من الخوخة على أثر ابن جلوي وفتح الباب ، وأن من في القصر أطلقوا النار على قوم عبدالعزيز ؛ فقتل زيد بن زيد ، وأصيب إبراهيم النفيسي ومنصور بن فريج ، وقتل محمد بن وبير داخل القصر ، وأن من قوم عجلان من زبن بيت بخيت في الظهيرة ، فقتلهم عبدالله

---

(١) في رواية الهزاني أنه أرسل عبدالله وفهداً ابني جلوي ؛ فتكون هذه الرواية تفيد أن ابن مشخص معهما .

بن جلوي بعد ساعة ، وزبن بعض العبيد بيت عبدالرحمن بن سويلم بن عبدالعزيز أبي سعود ، فاستخرجهم عبدالعزيز - ومعه أخوه محمد ، وناصر بن سعود - ، ومعهم بعض الأعداء ، وأن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف راجعه فيهم وبعد أخذ ورد استثنى عبدالعزيز أربعة خدام فأجلاهم عن البلد .. بعضهم مدة سنة وبعضهم مدة سنتين .. وذكر أن الشيخ جاء من القصر ، وأنه أراد مصافحة عبدالعزيز ؛ فرده وهو لا يعرفه ؛ فقال ناصر بن سعود : هذا والدك الشيخ عبدالله ؛ فقبل رأس الشيخ واعتذر منه .

وذكر أن أهل القصر أمنهم عبدالعزيز ، وأرسلهم لقصر الشيخ عبدالله ، ولحق بهم بالأمان في بيت الشيخ ابن سيف والغنيمي الكاتب وصاحب بيت المال.. وكانوا قبل ذلك ملتجئين في بيت سفيران .

وذكر أن المشايخ والأعيان والجماعة - بترتيب الشيخ عبدالله - جاؤا إلى الملك عبدالعزيز بعد صلاة الظهر ، وفاتح الملك بأن الجماعة يريدون البيعة ؛ فقال : حق ذلك .. ما فيه إمامة إلا بجماعة ، ولا جماعة إلا ببيعه .. ثم عد مرافقي الملك عبدالعزيز ، فقال : «أما الذين دخلوا الرياض مع الملك عبدالعزيز يوم فتحها فهم :

محمد بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود .

فهد بن جلوي بن تركي آل سعود .

عبدالعزيز بن جلوي بن تركي .

عبدالعزيز بن عبدالله بن تركي .

فهد بن إبراهيم بن مشاري آل سعود .

عبدالله بن صنيتان آل سعود .

ناصر بن سعود بن فرحان آل سعود .

ابنه سعود بن ناصر بن فرحان آل سعود .

عبدالله بن جلوي .

مسلم بن مجفل السبيعي .

حزام العجالين الدوسري .

ابن فلاح عبد عبدالله بن شنار الدوسري بالولاء (خادم الدواسر) [١] .

إبراهيم النفيسي .

منصور بن محمد بن حمزة آل منصور من آل دحيم .

صالح بن سبعان .

منصور بن فريج .

يوسف بن مشخص .

عبدالله بن خنيزان من أهل البرة (نزال في القرشية من أهل[٢] الرياض) .

سعيد بن بيشان .

مسعود المبروك .

عبداللطيف المعشوق .

محمد المعشوق .

فهيد المشوق .

سعد بن بخيت .

فريحين السعود عبد لعبدالله بن سعود بن فيصل .

---

(١) في المصادر : فلاح بن شنار .

(٢) يعني إقامةً .

ناصر بن شامان من عودة الدرعية .

مطلق بن عجيبان من أهل الرياض .

محمد بن الأوبير الشامرى قتل ذلك اليوم .

عبدالله بن عسكر السيد .

محمد بن هزاع من الدرعية الملقب بالشجاع .

ماجد بن مرعيد السبيعي .

أبوه عبدالله بن مرعيد .

زيد بن زيد الشويذى من أهل الرياض .

عبدالله بن عثمان الهزاني من الحريق .

فهد بن شعيل عبد الدوسري .

سعد بن عبيد من أهل صلبوخ .

سطام أبا الخيل من المطيري المعرقب .

عبدالله بن جريس من العمارية .

عبيد أخو أم شعوة الدوسري .

سعد بن جيفان .

محمد بن جيفان .

سلطان عبد للملك عبدالعزيز .

عبيد بن صالح الملقب بعويبيل . .

حترش العرجاني .

ابن أخيه حشاش العرجاني .

سعد بن هديب من الدلم .

أما الذين بقوا عند الجيش بطلب من الملك ولم يدخلوا إلا بعد الفتح خارج فهم :

معضد بن خرصان وأربعة رجال من ربعه من آل شامر من العجمان .

سالم الأفيجح من الصملة من سبيع ومعه ثلاثة رجال أخويا لمسلم بن مجفل.

طلال بن عجرش من الجمالين من سبيع ومعه عبدالله أبو دريب من الجمالين.

عبدالله بن مرعيد أبو ماجد من سبيع .

مطلق بن جفال من الأعزة ، واثنين من الأعزة لم أعرف أسماء هم .

شايع بن شداد من السهول آل محيميد .

ورجل لم أعرف اسمه من ربع حمود بن جلعود .

زايد البقيشي من سبيع .

أربعة أشخاص في الحملة ليس معهم سلاح .

محمد بن قماع .

هؤلاء هم الذين صحبوا الملك عبدالعزيز من الجافورة جنوب الأحساء حتى سطا على الرياض .

وفي الخامس من شوال بادروا في بناء السور وبروج المدينة ، وتسوير دارويزها .

وفي السابع من شهر شوال رحل الكلّ (شريدةَ) أخويا عجلان ممن سلموا من القتل، وأرسلهم إلى ضرما ، ومعهم سفيران وعبدالرحمن وطياش يوصلونهم ، ومنها أوصلهم ابن عبدالعزيز إلى مشاري العنقري ، وهذا الأخير أوصلهم إلى عبدالله بن عسكر في المجمعة ، وأرسلهم إلى ابن رشيد في معسكره شمالاً قريب الحفر .

وفي نهاية شوال كملت طبقة بروج البلد وكثير من السور ، وركبت الدراويز ، وفي العشرين من ذي القعدة تم السور (الطبقة الثانية من البروج) ، وقدم سعد بن عبدالرحمن من الكويت معه ستمائة رجل محدقين بالسلاح ومستعدين للقتال على بيرق.

وفي العاشر من ذي الحجة قدم الإمام عبدالرحمن من الكويت معه مئتا رجل.

قال أبو عبدالرحمن : في هذا النص إضافات نفيسة مع ما فيه من نقص في السياق كالقول بأن الاتجاه إلى بيت عجلان كان من بيت جويسر مباشرة .. فيرد هذا إلى إضافة الثقات ، وواقع المحل .. واستيعاب تفاصيل أي حدث طويل قلما يحصل من سياق رجل واحد ، وفيه عدة وقائع تؤيد رواية الهزاني .

وإذا صح أن الملك عبدالعزيز رحمه الله أرسل لبعض العربان في ٢٢/٩/ ١٣١٩هـ بأنه سوف يعدو على شمر : فذلك من باب التوهيم ، وتضليل عيون أمير الرياض ، ولإشاعة أن لديه قوة واستعداداً .

قال أبو عبدالرحمن : مجموع من لم يدخل الرياض في سياق الشيخ محمد ثلاثة وعشرون رجلاً فيهم بن مر عيد مكرر ، ومجموع من دخل ستة وأربعون ؛ فإذا حذفنا المكرر صار مجموعهم ثمانية وستون رجلاً [١] .

قال أبو عبدالرحمن : وهذا سياق خامس للأستاذ يوسف إبراهيم يزبك ..

---

(١) من المصادر عن عددهم غير من ذكرتُ سياقه كتاب الرياض ـ من سلسلة : هذه بلادنا ـ للأستاذ فهد الكليب ص ٤٩ ـ ٥٢ .. ومن مصادره : معجزة فوق الرمال لأحمد عسه ، وصقر الصحراء لبيار روفائيل ، والجزء الثاني من تاريخ الدولة السعودية لأمين سعيد ، وصقر الجزيرة للعطار ، والملك عبدالعزيز وفتح الرياض لعبدالواحد محمد راغب .. وهؤلاء يأخذون عمن سبقهم ، ومن جاء بزيادة ولم يسندها فلا ثقة بنقله .. وكتاب العطار رحمه الله لا يُعَوَّل عليه .

قال : «وفي ذات ليـل (وقد نام من في الكويت) جمع عبدالعزيز أربعين من إخوته ، وأبنـاء أعمامـه ، وخدامهم - وكلهم البطل المغوار - ، وقال لهم : «إن سيدي الوالد لن يسمح لي بالزحف إلا إذا اقتنع بأنكم معي ، وبأنكم لن تخذلوني .. ووا يا الإخوان أنا ما أبغي من الدنيا مالاً ولا خيراً ، ولا بذخاً ولا تنعماً .. يكفيني هذا الرغيف الذي آكله هنا في بيت الوالد ، ولكني لا أطيق البقاء في الهجرة لأني أشعر بالذل يضغط علي .. إن الرياض ديارنا وديار آبائنا وأجدادنا ، وعار عظيم علينا أن يبقى ابن الرشيد سائداً عليها ، وحاكماً في ذوينا وعشائرنا .. والله يا الإخوان أنا أمامكم في السير في الطليعة صدري يتقبل الطعن دونكم ، ولا أطلب إلا أن تنتقموا لي فيما إذا صرعت ، وما يفتحه الله علينا فللإخوان جميعاً .. لنا كلنا يا الإخوان على السواء ، لا أبغي إلا إنقاذ شرفي وشرفكم !».

وعاهده الأربعون على أن يرافقوه ، ويكونوا معه : فإما أن يفوزوا جميعاً ، وإما أن يموتوا معاً ، وعلى الله الاتكال ! .

ورضي الإمام عبدالرحمن بالغزوة ، وزود ابنه بالنصح والإرشاد ، وجُهزت الحملة بأربعين ذلولاً وثلاثين بندقية ومئتي ريال «نمساوي» .

وتوكلنا على الله ، وعلى إيماننا بالله ، وعلى حقنا المقدس في استرجاع ملك الآباء والأجداد [1] .

كان عبدالعزيز في الحادية والعشرين من ربيع العمر عندما حزم أمره على تقرير مصيره ومصير وطنه نجد .. بل مصير الجزيرة العربية ؛ فخرج من

(١) ليس هذا من كلام عبدالعزيز نصاً حرفياً ؛ فعبدالعزيز من أدق الناس ملاحظة في أمور التوحيد ، وإنما الاتكال على الله وحده .

الكويت في شتاء سنة ١٩٠١م ومعه الأبطال الأربعون من ذوي قرابته والموالين له ،وكانت خطته في أن يبدأ بضرب العشائر التابعة لابن الرشيد حتى يلتف حوله رؤساء البدو ؛ فلما أصحر ورفاقه انضم إليهم كثير من العجمان وآل مرة والسهول وسبيع ، واجتازوا المفاوز إلى العرض في أواسط نجد بعد أن قطعوا ستمئة كيلو متر مشياً ، وبلغ الجيش الزاحف ألف محارب ، وفرسانه نحواً من أربعمئة ؛ فضرب قبائل قحطان الموالية لابن الرشيد ونجح .

واهتزت نجد، وتنمرت السلطات التركية في الأحساء للشاب المغامر؛ فمنعت الميرة عنه، وحركت ثعالبها وأذنابها في الصحارى عليه .. وتدخل أتراك البصرة وبغداد، وقطعوا مرتب والده ؛ فانفض البدو من حوله، ولم يبق سوى ستين مغامراً بينهم الأبطال الأربعون من أنسبائه وخدامهم الذين عاهدوه على الحياة والموت .

وقلق سيد الكويت من تهديد الموظفين العثمانيين ، وخاف الإمام عبدالرحمن على ولده ؛ فأوفدا من يقول للشاب الثائر : «ارجع يا بني ؛ فنحن لا طاقة لنا في محاربة ابن الرشيد ، وإغضاب الدولة في وقت واحد» .

كلام .. أي كلام هذا يسمعه البطل المغوار ؟ .. ومتى كان المغامر - الذي حزم أمره لاسترداد ملك آبائه - يرجع عن قصد صار قطعةً من قلبه وفكره ؟ .. إنه يريد تحرير نجد ؛ بل يريد تحرير العرب ، ويريد أكثر .

وفي الرمال المقفرة في الربع الخالي بين حرض وجبرين [1] وقف عبدالعزيز

---

(١) قال الشيخ حمد الجاسر عن يبرين في معجم المنطقة الشرقية ١٨٦٩/٤ : « يبرين بالياء المثناة التحتية بعدها باء موحدة ساكنة فراء مكسورة بعدها ياء مثناة تحتية ساكنة فنون .. ويقع في كثير من الكتب الحديثة (جبرين) خطأ تأثراً بكتابة الاسم بالحروف الإفرنجية .. ويسمى الموضع أيضاً (أبرين) بالهمزة بدل الياء عند المتقدمين» .
==

....

== وقال ٤/١٨٧٤ - ١٨٧٦ : «ويظهر أن الاسم كان يشمل الجانب الجنوبي من رمال الدهناء حتى يتصل بصيهد والأحقاف في حدود حضرموت من الجنوب ، كما يشمل الصحراء الواسعة الممتدة من تلك الرمال شرقاً حتى تتصل برمال بينونة والجافورة - ويعرفان قديماً ببينونتين كما تقدم - ؛ فتشمل قسما مما يعرف قديما باسم وبار وحديثاً بالربع الخالي الأوسط .. والواقع أن يبرين ووبار وصيهد والأحقاف متصل بعضها ببعض ؛ بحيث لا يمكن الفصل بينها ، ولكن يعرف بعضها من بعض بالنسبة لما يجاورها من المواضع ، وجلها يطلق عليه في عصرنا الربع الخالي ؛ فالجانب الشمالي الغربي هو يبرين ، والجانب الغربي الجنوبي هو صيهد ثم الأحقاف مما يلي حضرموت ، والأوسط الشرقي إلى ما يلي عُمان هو وبار ، والشرقي الموالي للخليج هو بينونتان ، والصفة الغالبة على جميع هذه المواضع كثرة الرمال ، وقلة مظاهر الحياة فيها ؛ لصعوبة مسالكها ، وقلة مياهها .. هذا عن مسمى يبرين باعتباره صحراء واسعة .. أما عن يبرين التي كانت يوماً ما معمورة بالسكان ذات مياه غزيرة ونخيل كثيرة ـ كما يظهر من آثار العمران التي لا يزال كثير منها بارزاً ـ فهي تتكون من واحتين متجاورتين : الكبرى الغربية الشمالية التي تعرف الآن باسم يبرين (وقد تدعى جوبة يبرين) والثانية الشرقية الجنوبية وتعرف باسم الخن (وتنطق بكسر الخاء .. والمسافة بينهما ثمانية وعشرون كيلاً ، وقد يكون الموضعان قديماً متصلين ، ففصلت بينهما الرمال المتراكمة التي لا شك أنها غطت جوانب الواحتين وكثيراً من آثار عمرانهما القديم .

وقد زرت تلك الجهات في رجب سنة ١٣٩٨هـ في فصل الصيف وسرت بين يبرين والخن بالسيارة ؛ فلم أشاهد في تلك البلاد الواسعة إنساناً من أهلها (وإن كان فيها من الآثار ما يدل على أن هناك من يرتادها في بعض الأوقات) ، ولكنها كانت خالية موحشة .. مع أنني اطلعت على كتابة جاء فيها : إن سكان قرية يبرين يزيدون على ثلاثة آلاف نسمة من قبيلة بني مرة .. وجاء في كتاب «المسح» : إن عدد سكان يبرين نحو ثمان وأربعين وأربع مئة نسمة ، وأنها تابعة لإمارة حرض .. ويظهر أن أولئك لا يحضرون في يبرين إلا عند صرام النخل على ما قيل لي ، وتقدمت الإشارة إلى أنها اتخذت هجرة ، ثم تركت لوبائها .

تقع الواحتان (الخن ، ويبرين) في منخفضين من الأرض ، وقد تقدم الكلام على الخن .. أما واحة يبرين فيحيط بها مرتفعات ، والأرض منخفضة عما حولها .. هي وهدة (جوبة) ليست كاملة الاستدارة ، وهي سبخة والماء فيها قريب من سطح الأرض التي يكثير فيها هيش النخل (فسائله) التي نبتت بدون غرس ، وهو يحمل حملاً ضعيفاً ولا يلقح ؛ بل يصلح بنفسه بفعل الهواء ، ==

يقول لرجاله : أريد منكم تجديد العهد .. أريد أن لا يسألني أحدكم عن خطتي وقصدي ؛ فهل تعاهدونني ؟ .

[قالوا :] لبيك يا طويل العمر ، ولك علينا عهد الله .

وتابع زحفه بجماعته الأوفياء حتى وصلوا إلى بساتين النخيل في الشمسية ، وهي ضاحية على أبواب الرياض [1] ، وكان اليوم الثاني من عيد الفطر؛ فانسلوا إليها ريثما يسدل الليل ظلامه على الأرض .. وغابت الشمس، فقال القائد المغامر لرجاله : «إلبسوا أحسن ما عندكم من اللباس ؛ فإما كانت أكفانكم ، وإما كانت لباس العيد تخطرون بها بين أهلكم في الرياض» .

وسروا بسم الله الرحمن الرحيم بعد أن ترك عبدالعزيز عشرين رجلاً في البساتين يرتقبون ما يحمله إليهم الغيب : «إذا سمعتم الواقعة وأزيزها فهبوا إلى نصرتنا ، وإذا لم يأتكم منا خبر حتى غدٍ مساء فعودوا على أعقابكم ،

== ولا يُسقى لقرب الماء من ظهر الأرض ، ويكثر في منخفض يبرين (الجوبة) نبات أشجار الحمض كالرمث والهرم والسواد ؛ ولانخفاض أرض يبرين تدعى الجوبة ، وجوبة يبرين .. وفيها آبار كثيرة ولكن ماء ها ملح ، ومن تلك الآبار مشمرة وخريقا وأم النصي وأم عدوة والحفير وأبرقية والضبطية والمخروق .

وتقارب سعة جوبة يبرين من الشمال إلى الجنوب نحو خمسة وعشرين كيلاً في عرض خمسة عشر ، ويحف بيبرين من الغرب آكام وأرض جلد ممتدة من الشمال إلى الجنوب (تدعى الصمان ، وصمان يبرين) فاصلة بين منخفض يبرين (الحوبة) وبين الدهناء .. تمتد جنوباً حتى غرب رملة مقينمة ، ومن أبرز معالم هذه الأرض الجلد القريبة من يبرين : المخروق ، وفرائد الضبطية ، والجوامير ، وفرائد وبزرة ، وأبو نصيبة .. وجنوب يبرين آكام أيضاً منها برقا سمر ، وضبع .. كما يفصل بين يبرين والخن أرض مرتفعة فيها من الآكام البارزة الأصبع» .

(١) قال أبو عبدالرحمن : لا صحة لهذا ، وإنما جاء عبدالعزيز من يسار الشرق .

وقولوا لسيدي الوالد : إن عبدالعزيز ورفاقه قد قضوا شهداء ، ورجعت نفوسهم إلى ربها راضية مرضية» [1] .

وتقدموا في الليل البهيم يتبعون القائد الذي أبى إلا أن يظل في الطليعة ؛ ليتقبل صدره الطعن دون رفاقه ، ووصلوا إلى السور المحيط بالبلدة؛ فقال عبدالعزيز لأخيه محمد : «قف أنت هنا على رأس ثلاثين رجلاً متأهبين ، وأنا أتسلق السور ومعي ابن العم عبدالله بن جلوي وتسعة آخرون ، وإلى اللقاء .

وتسلق بعضهم على أكتاف بعض ، وطاحوا فوق السور .

هوذا يجابه الساعة الكبرى ؛ فقد صار في داخل المدينة في القفص ، وإذا اتفق (إن كان أحد الحراس ساهراً ، وأبصر به [2] : فالمعركة ناشبة حتماً ، ولا مجال للهرب إلى الخارج .

وكانت أيام الحصار في العام الماضي قد علّمت عبدالعزيز كل شاردة وواردة من وضع البلدة وحالها ؛ فمشى إلى المصمك [3] قصر الحاكم عجلان

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : كل ما ينقله يزيك عن عبدالعزيز فهو ـ إن صح ـ بالمعنى لا بالنص .. ولا يمكن ألبتة أن يحكم عبدالعزيز لنفسه ، لرفاقه بهذا الحكم .. وعبدالعزيز من أشد الناس دقة في أمور العقيدة .

(٢) الأسلوب المستقيم ليرد جواب إذا واضحاً أن يقول : «وإذا اتفق رؤية أحد الحرس له - إن كان ساهراً - فستكون المعركة» .

(٩٣) المصمك في لغة النجديين : المغلق ، والموصد .. ولعل عامل ابن الرشيد أطلق عليه هذا الاسم لبدل على مناعته ، وعلى أنه لا يدخله العدو [يزبك] .. قال أبو عبدالرحمن : الصاد بدل من السين ، وهو يعني السقف وطول الحائط .. ويعني عند العامة المتانة ، وله مجاز من الفصحى ، وسيأتي إن شاء الله في إحدى الحواشي زيادة إيضاح .

العامل الجديد لابن الرشيد على الرياض ؛ ليقتحمه ويقضي على سيده ليلاً ، ولكنه وجد الباب مرتجاً؛ فانحرف إلى البيت المجاور، وهو يعرف من فيه، وطرق الباب بلين ، وسمع صوت امرأة من الداخل تسأله : من الطارق؟ .. رجل من خدم الأمير عجلان يريد زوجك لغرض .. [قالت] : إذهب لا بارك الله فيك .. ما جئت إلا لتبغي النساء، وهل يطرق باب الناس في الليل إلا فاسد ؟ .. [قال] لا ياخالة .. ما جئت لهذا، ولكني أخشى على زوجك من القتل غداً فيما إذا لم يُلبِّ طلب الأمير حالاً .. وسمع زوج المرأة هذا التهديد ؛ فخرج يستجلي الخبر (وكان عبدالعزيز يعرفه حق المعرفة ويعرف نساء ه ؛ فمنهن من كن في خدمة بيوت آل سعود) ؛ فلما خرج أمسك به قائلاً : «اسكت وإلا قتلتك» .

ودخل عبدالعزيز ورفاقه إلى البيت يتقدمهم الزوج مبشراً نساء ه : هو عمكن عبدالعزيز .. وصحن فرحات : عمنا عبدالعزيز .. فاسكتهن ، وأوصد الباب دونهن .

وفي جوار هذا البيت منزل ثانٍ ملتصق به (تقيم فيه الزوجة الأولى لعجلان الحاكم، وهي من الرياض) ، وتسلق المغامر ورفاقه السطح ، وانتقلوا منه إلى سطح البيت المجاور - بيت الزوجة الأولى - ، ثم نزلوا إلى غرفة يفتشونها واحدة بعد أخرى ؛ فوجدوا اثنين نائمين على فراش واحد ، وظن عبدالعزيز أنهما عجلان وامرأته ؛ فدنا منهما يتبينهما على ضوء السراج ، وعرف فيهما زوجة الحاكم وأختها .

أفاقت زوجة عجلان مذعورة ، وعرفت الزائر فصاحت : عبدالعزيز !! ..

فأجابها : نعم ، أنا هو ، وأنت قلت [١] .

[قالت :] وما مأربك هنا ؟ .

[فقال :] أريد عجلان ، ولا أبغي سواه ! .

وأشفقت الحسناء على هذا الشاب المغامر ؛ فقالت له بحب وعطف : إنك تغرر بنفسك يا صاح ؛ فانصح لك بأن لا تفعل .. إن صاحبك في حصن منيع، ورجاله أوفياء أشداء ؛ فهلا رجعت بصمت وهدوء .

وزجرها بين عتاب وتهديد : ما جئنا لنسمع منك النصح ، وإنما أريد أن أعرف مقر عجلان ؟ .

[قالت :] ليلته هذه الليلة عند الثانية في المصمك ، ولا يخرج من عندها إلا بعد ساعة من شروق الشمس ليشاهد الخيل .

[قال :] هذا كل ما نريد .. فاسكتا ولا بأس عليكما .

وكان الليل قد انتصف ، وقد خيم السكون على البلد كأنه الصحراء الحالمة ، وكأن لم يكن هنالك شيئ : لا مغامرة ، ولا طلائع معركة ، ولا رائحة موت .. بل جلس عبدالعزيز ورجاله يدقون القهوة ، ويحكمون الرأي في تدبير الهجوم بينما زوجة عجلان تعد لهم التمر للأكل .. وناموا قليلاً ، وانبثق الفجر، وأخذت الشمس تشرق على الرياض .

هي دقائق معدودات على الشاب المغامر .. لقد دنا من ساعته .. أتراه يكون هذا النور المشع من الفلك باكورة الوهج الجديد الوضاء على دنيا العرب، أم أنه مقدمة لظلام القبر ؟ .. وكانت الدقائق تتباطأ في لياليها كأنها الأيام ، ودقت الساعة .. جاء العبيد بالخيل أمام الحصن ، وامتلأت الساحة ؛ فخرج

(١) لا معنى لكلمة : (وأنت قلت) .

عبدالعزيز ورفاقة واندسوا بينهم[1]،وما هي [إلا] لحظة حتى فتحت خوخة باب المصمك، وخرج منها عجلان ليرى الخيل كعادته؛ فالتقى السعوديين أمامه، وراءه منظرهم، وهَم ّيريد الرجوع ؛ فآدركه عبدالعزيز برمية رمح أخطأته، وانكسرت سن الرمح في الباب ؛ فوثب عبدالله بن جلوي إلى عجلان وأمسك برجليه ، بينما كان نصفه قد صار داخل الخوخة [2] .. في هذه الدقيقة تساقط رصاص الحرس من الحصن ، فاختلط الحابل بالنابل ، وقتل اثنان من المهاجمين وجرح أربعة .. يا له من خطر داهم ؟! .. إن الموت قد فتح فاه .. وبأسرع من لمح البرق وثب عبدالعزيز إلى عدوه ، وكان ابن جلوي قد تمكن من إخراجه من الخوخة، وانقض عليه بضربة سيف أودت بحياته وبحكم ابن الرشيد[3] .

وحُررت الرياض ، وصاح عبدالعزيز بحراس القصر : شوفوا عمكم ما جرى به ؟ .. فمن استسلم أمن ، ومن كابر ألحقته به .. واستسلم الحرس ، وما قربت صلاة الظهر حتى أذن المؤذن : إن الحكم لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل من آل سعود ؛ فإن عجلان عامل ابن الرشيد على الرياض قد قتل .. وسمع الناس ، فأطاعوا ، وهبوا إلى المسجد متفائلين فرحين يصلون مع أميرهم ابن أميرهم ، وحفيد أمرائهم .. وكان ذلك في اليوم التاسع من شهر كانون الثاني سنة ١٩٠٢م (٤ شوال ١٣١٩هـ) » [4] .

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : ليس هذا بصحيح ؛ بل كانوا يرقبونهم من بيت عجلان حتى خرج ؛ فخرجوا إليه وجهاً لوجه .

(٢) إنما رماه عبدالعزيز بالندقيه ، ورماه مناور من سطح بيته - أي بيت عجلان - ، والذي أمسك برجله عبدالعزيز كما مضى مفصلاً ، والذي رمى بالرمح الأمير فهد بن جلوي .

(٣) بل دخل عليه ابن جلوي في القصر ، فذبحه .

(٤) ليلة المصمك ص ١٤ ـ ٢٤ .. قال أبو عبدالرحمن : إنما كان في ٥ شوال ، وإنما جاء ه الناس للمبايعة بعد صلاة الظهر في القصر .

قال أبو عبدالرحمن : طبع كتاب يزيك سنة ١٩٥٣م ، وكان زار الرياض آخر أيام الملك عبدالعزيز رحمه الله .. وكتابه مقالة صحفية بأسلوب غير مشرق، وقد أهداه لولي العهد آنذاك الملك سعود رحمه الله، وكتابه غير موثق.

وهو صحفي لبناني عني بتاريخ لبنان [١]، ولم يعن المؤرخون كثيراً بالرجوع إلى كتّيبه .

وقال الزركلي : «عاد رسول مبارك الصباح يحمل رفض ابن رشيد ما عرضه عليه من مفاوضات للصلح بينهما ، وثارت ثائرة مبارك (وقد أيقن أن الأمر جد) ؛ فاستقبل الإمام عبدالرحمن يجدد عهده معه على المضي في قتال ابن رشيد وأنصاره ، والنصر من عند الله .

وأقبلت نجدات العرب من : مطير ، والعجمان، وآل مرة من الجنوب، وعشائر المنتفق مع زعميها سعدون باشا من الشمال .. وتوافد جمع من عنيزة ، وبريدة على رأسه أمراؤهما آل سليم وآل مهنا ، وزحف بهم مبارك (وهم نحو عشرة آلاف مقاتل) ؛ فاجتاز الصمان فالدهناء ، ونزل على غدير شعب يسمى الشوكي [٢] في الجانب الغربي من الدهناء .. وفي الشوكي عرض عبدالعزيز

(١) جاء في تتمة الإعلام للزركلي ٢/٢٢٩ ـ نقلاً عن مجلة الفيصل ع ٦٥ سنة ١٤٠٢هـ : أن وفاته سنة ١٤٠٢هـ، ولم يذكر ليلة المصمك .

(٢) قال الأستاذ ابن خميس في معجم اليمامة ٢/٦٣ : « بفتح الشين المشددة ، وإسكان الواو ، فكاف مكسورة ، فياء .. كأنه نسبة إلى الشوك : أحد أودية العرمة الشمالية ، ينحدر من قمتها مشرقاً ، ويصب في روضةالتنهات ، ويليه من الجنوب العتك الأسفل ، والحقاقة ، ومليح ، والعرقوبة .. ومن الشمال الطراق ، والقرشع.

وبه روافد كبيرة هي أبو حرملة ويأتيه من ناحية الشمال ، والفروثي (ويأتيه من ناحية الجنوب) ، والترابيع شعبان كبيران متوازيان يصبان فيه من ناحية الجنوب ، والودي شعب كبير يصعد في ظهر العرمة مما يلي الطراق ويذهب حتى قرب من القمة وينحدر موازياً للشوكي من الشمال حتى ==

على مبارك خطة حربية : هي أن ينفرد بقوة يزحف بها وحده إلى الرياض ويدهمها ؛ فيضطر ابن رشيد أن يقاتل جيشين في مكانين مختلفين .. ووافق مبارك ، وانطلق عبدالعزيز في مقدمة مئات من المقاتلين يريد الرياض ، وبقي والده مع مبارك .

تلك هي المحاولة الأولى يقوم بها عبدالعزيز مستقلاً ؛ لاستعادة ملك آل سعود .. اجتاز عبدالعزيز ما بين الشوكي والرياض في يومين ، وتصدت له حامية الرياض ، وجلها من رجال ابن رشيد يقودها عامل له اسمه عبدالرحمن بن ضبعان ؛ فقاتلها ودخل المدينة ، ولجأت الحامية إلى حصنها المسمك ؛ فعزم عبدالعزيز على حفر نفق إليه ، وباشر ورجاله العمل .

على أن المعركة لم تنته بسلام ، ولم يكن رجال ابن رشيد وحدهم المشمرين لصد عبدالعزيز ، بل كان فيهم من أهل الرياض من خافوا انتقام ابن رشيد منهم ، وأصيب عبدالعزيز بجرح في يده من رصاصة .. قيل : أطلقها أحد آل الشيخ .. حتى إن «كنث وليمز» في كتابه «ابن سعود سيد نجد» يقول : إن هذه الحملة كانت قبل الأوان .. ولا نعرض لمناقشة هذا الرأي ؛ فقد اضطرت حملة عبدالعزيز للعودة إلى الكويت بعد أربعة أشهر من مغادرتها ؛ لأن جيش مبارك الصباح اشتبك في معركة حامية مع ابن رشيد في مكان يسمى «الصريف» في الشمال الشرقي من بريدة على مقربة من «الطرفية» في

== يعارضه قريباً من منخرقه في روضة التنهات .. وبالشوكي غدر كبيرة وشهيرة أهمها : أبو طلحة ، والمصيدير ، وغدير ضرمان ، وأبو الرخم ، والشظو .

وأبو الرخم هو أكبر هذه الغدر ، وقد خيم حوله الملك عبدالعزيز أكثر من مرة ، ومكث أياماً طويلة يرتوي قومه منه ويصدرون عن فيض لا ينضب» .

القصيم يوم ١٧ ذي القعدة ١٣١٨هـ (١٩٠١/٣/٧) ، وفاز ابن رشيد ، وانهزم ابن صباح إلى الكويت بمن بقي حياً من رجاله .

ووصل الخبر إلى عبدالعزيز وهو في الرياض لم يتم له فتحه ، وجاء ه رسول من أبيه الإمام عبدالرحمن راكباً فرسه ومتقلداً حسامه ينقل إليه رسالة شفهية من الإمام في وصف الهزيمة بالصريف ، واقتراح عودته إلى الكويت قبل أن تصل إليه قوى ابن رشيد المنتشية بخمرة النصر ، وجمع عبدالعزيز من في الرياض من رجاله وقال : إلى الكويت .. والرأي قبل شجاعة الشجعان .

ويقول ثقات الملك عبدالعزيز : إنه لم يكن يتوقع النصر لجيش ابن صباح في معركته هذه مع ابن رشيد قبل نشوبها ، وإنه - أي عبدالعزيز الفتى المغامر - أبى (وهم في الشوكي) أن يخاطر بسمعته وبذوي قرباه من آل سعود في المشاركة بمعركة خاسرة ، ووفق إلى فكرة الانفصال عن جيش ابن صباح ؛ فلما قابله في الكويت قال له : إن ولدك سيثأر لك .

تجددت صلة عبدالعزيز بالرياض ، وعرف في الأيام التي قضاها بين جدرانها أخيراً الأوفياء من أهلها وغير الأوفياء ، وأصبح ديدنه وهمه بعد عودته إلى الكويت وضع الخطة لمعاودة الكرة ، ولكن أنى له ذلك ؟ .. وأين الأنصار وفي كل بيت من بيوت الكويت باكٍ على قريب له أو نسيب قتله ابن رشيد في معركة الصريف ؟ .

كان يحدِّث والده أحياناً بما في نفسه فيصده، وقد يتهمه بالطيش والخيال.

ويبدو من رواية نصار في كتابه «الرجل» أن غزوة الرياض هذه لم تكن الأولى من محاولات عبدالعزيز ؛ فهو يذكر - ولا يسمي المصدر الذي أخذ عنه - أن عبدالعزيز لما بلغ الخامسة عشرة (وهو في الكويت وزوَّجه أبو صوناً

لأخلاقه من فساد المدينة) لم يشغله الزواج عن التفكير في استرداد مجد آبائه؛ فأقنع بعض الفتيان بالسير معه إلى نجد ، وإثارة العشائر على ابن رشيد ، واستعار بعيراً هزيلاً خرج به مع أصحابه ، ونزلوا ببعض القبائل ؛ فلم يجدوا من يُصغي إلى الدعوة ؛ فيئس رفاقه وانصرفوا عنه ، وعاد وحده ماشياً وقد ظلع بعيره إلى أن لقيه ركب حملوه معهم إلى الكويت .. قال نصار : «وأُحبُّ أن يكتم خبر إخفاقه لولا أن رفاقه سبقوه ، وتحدثوا بما لقوه ؛ فلما وصل سخر الناس به .. فإن صحت هذه الرواية ؛ فتكون المحاولة قد تكررت .

ويذكر نصار أيضاً أن كبرى شقيقات عبدالعزيز «نورة» كان لها فضل في تشجيع أخيها .. تقول له : لا تندب حظك كالنساء .. إن خابت الأولى والثانية فسوف تظفر في الثالثة .. إبحث عن أسباب فشلك واجتنبها .. لا تكثر من إقامتك عند امرأتك أو في بيت أمك ؛ فالرجال لم يخلقوا للراحة .

أقول : ونورة هذه هي أخت عبدالعزيز الشقيقة كان ينتخي بها في الحرب والهول : أنا أخو نورة .. أنا أخو الأنور .. وعاشت عمرها وهي أقرب الناس إليه ، وكانت حلالة المشكلات الداخلية في قصره بعد المُلك وقبله .. يستشيرها في أمور الأسرة ، ويزورها كل يوم .. توفيت وبلاد المملكة تستعد للاحتفال بالذكرى الذهبية لمرور خمسين عاماً على فتح الرياض .

لقد كانت نورة تشجع عبدالعزيز في الكويت ، وتشحذ همته ، والنار بالنار تُذكى كما يقال .

لم تطل إقامة عبدالعزيز في الكويت هذه المرة ، وقد ذاق حلاوة الظفر ومرارته في الرياض قبل شهور ؛ فأكثر من التعريض لأبيه بعزمه على المغامرة الثانية أو الثالثة وهو لا يلقى إلا الزجر والصد ، وعيل صبره ؛ فلقي

أباه ساعة على انفراد في مكان خال خارج المدينة؛ فاستوقفه فقال: ما تريد ؟.. قال : أريد الحديث .. فقال : لا أريده .. فأصر على أبيه ، وألقى عباء ته على الأرض وقال : - وعُروقه تنتفض - : إجلس يا عبدالرحمن .. عبدالعزيز مثال الأدب مع أبيه يخاطبه بهذه اللهجة، وباسمه المجرد ؟.. هناك أمر لا ريب.. جلس الإمام عبدالرحمن وأمامه الشعلة المتوقدة (ابنه عبدالعزيز) يقول : أنت بين خطتين : إما أن تأمر أحد عبيدك بانتزاع رأسي من بين كتفي ؛ فأستريح من هذه الحياة ، وإما أن تنهض من توك فلا تخرج من منزل شيخ الكويت إلا بوعد في تسهيل خروجي للقتال في بطن نجد .

كانت هذه الجلسة الثائرة بين الابن وأبيه (بعد وساطة لم يذكرها إلى الآن أحد من مؤرخي عبدالعزيز)[1] هي وساطة والدته لدى والده .. قال عبدالعزيز: شعرت وأنا ألح على أمي في أن يأذن لي أبي بالحركة أنها كانت بين عاملين : عامل حب الابن والإشفاق عليه من أن يزج نفسه في المهالك ، وعامل مرضاة عنفوان الفتى وفتح الباب له على مصراعيه .

وافق الإمام عبدالرحمن متململاً بعد تصميم عبدالعزيز ، وهرع إلى مبارك الصباح يسأله تسهيل الأمر .. ولا أحب لمبارك من هذا .

وفي الهزيع الأول من تلك الليلة كان عبدالعزيز يملك أربعين ذلولاً وثلاثين بندقية ومئتي ريال معونة من الشيخ مبارك [2] ، وأسرع إلى توديع أبيه ، وطلب رضاه .

---

(١) حدثني بها الثقة يوسف ياسين نقلاً عن الملك عبدالعزيز نفسه [الزركلي].

(٢) الريحاني في تاريخ نجد الحديث ص ١٠٨ [الزركلي] .

قال عبدالرحمن : ترى يا عبدالعزيز ليس لي قصد في أن أقف في سبيل إقدامك ، ولكن كما ترى موقفنا وحالنا يقضيان باستعمال الحكمة في إدارة أمرنا .. أما وقد عزمت فأسأل الله لك العون والظفر .

قال راوي الحديث عن عبدالعزيز [1] : وبدرت دمعة من عين الأب كانت أثمن ما حمله قلب الابن في سيره إلى المعركة التي خرج من أجلها ، ومضى في أربعين راكباً من آل سعود والموالين لهم ، ونحو العشرين من أتباعهم ؛ فنزل في ديار العجمان حيث لحق به بعض طلاب الكسب منهم ، وذاع الخبر بأن ابن سعود يغزو ، وأقبلت جماعات من آل مرة وسبيع والسهول يحدو أكثرها (أو يحدوها جميعاً) الطمع بمغانم الغزو .. وللغزو مغانمه ومخاطره .

وقارب عدد الملتفين حول عبدالعزيز ألف راكب ذلول وأربعمئة خيال اجتاز بهم الصمان والدهناء ، وأغار على أبيات لقحطان من أعوان ابن رشيد ؛ فغنم، وعاد إلى أطراف الأحساء - وفيها متصرف من الترك ، وعليها العَلَمُ العثماني - ؛ فتموَّن وقصد جماعة آخرين من قحطان في عشيرة من جهات سدير فربح ، وهاجم فريقاً من مطير ؛ فساق بعض مواشيهم أمامه ، وتسامع البدو بخبر الغزو ، فتسارعوا يتبعون الظافر على عادتهم ؛ فزاد عدد الغزاة مئات .. ومركز الاستقرار والتموين جنوب الأحساء وداخلها .

وقلق ابن رشيد (ولم يكن من قبل يأبه كما كان يقول : لألاعيب الشاب عبدالعزيز) ؛ فكتب إلى حكومة البصرة - التابعة للترك العثمانيين - يذكر

(١) يوسف ياسين [الزركلي] .

استفحال أمر ابن سعود ، وأنه أصبح أو سيكون خطراً ، واقترح طرده من نواحي الأحساء ؛ ففعلت ، ومنعته أن يتمون هو ومن معه منها ، وأقبل الشتاء ؛ فتفرق من كان مع عبدالعزيز من البدو .. بعضهم يطلب المرعى لمواشيه ، وبعضهم لا يريد أن يتعرض لسخط الدولة .

ويقول الريحاني : كان ابن رشيد في الحفر - بين القصيم والكويت - يستنجد الأتراك في احتلال الكويت ، ويستحثهم على عدوِّه الجديد عبدالعزيز، بل على آل سعود كلهم ؛ فقطعت الدولة معاش كبيرهم الإمام عبدالرحمن ، وسدت أبواب الحسا في وجه صغيرهم عبدالعزيز ، وهم ابن رشيد أن يحصر هذا الصغير في واحة قصية اعتصم بها عبدالعزيز بمن بقي معه .. هي واحة يبرين من أطراف الربع الخالي على مسافة ١٦٠ ميلاً من جنوب الأحساء ، و ١٧٥ ميلاً من الرياض شرقاً بجنوب .

وكتب الإمام عبدالرحمن مشترِكاً مع الشيخ مبارك إلى عبدالعزيز يدعوانه إلى الكف عما هو فيه ، ويحذرانه العواقب ، ويسألانه الرجوع إلى الكويت .

تفقد عبدالعزيز رجاله في واحة يبرين آخر يوم من رجب ١٣١٩هـ (١٢/١٠/١٩٠١م) فلم ير إلا من صحبوه يوم مغادرته الكويت ؛ فجمعهم حوله في مجلس للمداولة، وقرأ عليهم كتاب أبيه، ثم قال : لا أزيدكم علماً[1] . بما نحن فيه ، وهذا كتاب والدي يدعونا للعودة إلى الكويت .. قرأته عليكم،

(١) أي لأنكم تعلمون حال بؤسنا وقِلّتنا .

ومبارك ينصحنا بالعودة .. أنتم أحرار فيما تختارونه لأنفسكم .. أما أنا فلن أعرِّض نفسي؛ لأكون موضع السخرية في أزقة الكويت، ومن أراد الراحة ولقاء أهله والنوم والشبع فإلى يساري .. إلى يساري .. وتواثب الأربعون .. بل الستون إلى يمينه ، وأدركتهم عزة الأنفة ؛ فاستلوا سيوفهم ، وصاحوا مقسمين على أن يصحبوه إلى النهاية .. والتفت عبدالعزيز إلى رسول أبيه - وهو حاضر يشهد - ، وقال له : سلم على الإمام ، وخبره بما رأيت ، واسأله الدعاء لنا ، وقل له : موعدنا إن شاء الله في الرياض .

كلمة الأربعين يكثر ورودها في أخبار عبدالعزيز ، وليس الغرض منها إلا ما يقارب هذا العدد .. يزيد أو ينقص .. كذلك هؤلاء الأربعون أو الستون يورد الأمير سعود بن هذلول[1] أسماء هم ؛ فيبلغون عنده واحداً وأربعين (عدا العشرين) ، ولم يسمهم .. ويسميهم الفتال [2] فيبلغ عددهم عنده - مع العشرين - تسعة وخمسين، ويختلفان في كثير من الأسماء؛ فينفرد كل منهما بأشخاص لم يأت بها الآخر، وقد بلغ مجموع ما عندهما معاً، سبعة أو خمسة وستين أذكرهم فيما يلي مرتبين على الحروف، وقد ميزت من لم يذكرهم ابن هذلول بنجمة ، وليس لدي ما أرجح به إحدى الروايتين ، والمصدران حديثان :

إبراهيم بن محيذف * .

سعد بن جيفان * .

إبراهيم النفيسي .

سعد بن عبيد * .

---

(١) أمير القصيم الآن سعود بن هذلول بن ناصر .. من آل ثنيان في كتابه «تاريخ ملوك آل سعود ص ٥٨ [الزركلي] .

(٢) عبدالوهاب الفتال في كتابه «حرب الانتصار» ص ١٩ [الزركلي] .

ثلاب العجالين الدوسري * .

سعد بن هذيب * .

حترش العرجاني * .

سعد بن ناصر الفرحان .

حزام العجالين الدوسري (لعله ثلاب) .

سعيد بن بيشان الدوسري .

حشاش العرجاني * .

سلطان (مملوك عبدالعزيز) * .

زايد البقيشي السبيعي * .

شايع بن شداد من آل محيميد السهول * .

زيد بن زيد .

صالح بن سبعان .

سالم الأفيجخ * .

طلال بن عجرش * .

سطام أبا الخيل (المطيري) .

عبدالعزيز بن جلوي .

سعد بن بخيت * .

عبدالعزيز بن عبدالله بن تركي .

عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي .

فهيد المعشوق .

عبداللطيف المعشوق .

فيروز العبدالعزيز .

عبدالله أبو المريتب السبيعي * .

ماجد بن مرعيد (السبيعي) .

عبدالله بن جريس .

محمد بن شعيل .

عبدالله الجطيلي * .

محمد بن عبدالرحمن (أخو عبدالعزيز) .

عبدالله بن جلوي .

محمد بن لماع * .

عبدالله بن خنيزان .

محمد بن هزاع .

عبدالله بن شامل الدوسري * .

محمد بن الوبير الشامري * .

عبدالله بن صنيتان .

مسعود المبروك .

عبدالله بن عبيد .

مسلم بن مجفل السبيعي .

عبدالله (بن عثمان) الهزاني .

مطلق بن جفال * .

عبدالله بن عسكر .

مطلق بن عجيبان .

عبدالله بن مرعيد السبيعي * .

مطلق الغربي .

عبيد (أخو شغوا) الدوسري * .

معضد بن خرصان الشامري .

عبيد بن صالح الملقب عويبيل * .

مناور العنزي * .

فرحان السعود .

منصور بن حمزة آل منصور (لعله ابن محمد) * .

فلاج بن شنار الدوسري .

منصور بن فريج .

فهد بن إبراهيم المشاري .

منصور بن محمد بن حمزة .

فهد بن جلوي .

ناصر بن سعود الفرحان .

فهد بن شعيل الدوسري * .

ناصر بن شامان .

فهد بن معمر .

ناصر بن فرحان آل سعود (لعله ابن شامان) * .

فهد بن الوبير الشامري .

نافع الحربي * .

يوسف بن مشخص .

يوم الرياض الذي احتفلت المملكة العربية السعودية (سنة ١٣٦٩هـ) بمرور خمسين عاماً هجرياً عليه : يوم عظيم حقاً في تاريخ جزيرة العرب ، لا في سيرة الملك عبدالعزيز وحده .. يقول الدكتور جون فانيس في كتابه «أقدم أصدقائي العرب» : بدأ عبدالعزيز مجازفته ومعه أربعون رجلاً .. ويالها من مجازفة ، ويالها من مغامرة !! .

ويقول فؤاد حمزة : في قلب جزيرة العرب : إن قصة حملة الرياض من أروع قصص البطولة ، وأعظمها شأناً ، وأجلها قدراً .

ويقول حافظ وهبة في جزيرة العرب في القرن العشرين : إن هذه القصة تشبه قصص أبطال اليونان ، وترينا عظم الأخطار التي أحاطت بابن سعود .

ويقول نصار في كتابه الرجل : إن ابن سعود الذي تعلم الصعود إلى مراقي العظمة في مدرسة الإسلام (كما تعلمه فيها أبو بكر وعمر وعلي وخالد ومعاوية وغيرهم من الصحابة الكرام) ، وتمرن على الخشونة وشظف العيش والشدة في مدرسة بني مرة الساذجة : ارتقى أول درجة من سلم العظمة بالاستيلاء على الرياض .

ويقول كنث وليمز في كتابه ابن سعود سيد نجد : تمكن ابن سعود من استرداد قلب الإمارة الوهابية (كذا)[1] بطريقة تدل على براعة فائقة وحذق مدهش .

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : بينت في مناسبات كثيرة أن دعوى النسبة الوهابية إطلاق خصوم أرادوا أنها بدعة .. ودعوة الشيخ رحمه الله سلفية بحتة ، فنسبت إليه باسم الوهابية لا السلفية ؛ لأنه أحياها وجددها في جزيرة العرب بالله ثم بحكومة آل سعود .. ولكن الخصوم لا يريدون هذا المعنى الجميل .. وانظر الأخوان السعوديون في عقدين تأليف جون س حبيب ص ٣٠٧ - ٣١٠. نقلاً عن الزركلي ، والدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث للدكتور محمد كامل ضاهر ص ٢٨ ـ ٣١ .. ومن مصادره الفقي ، ومحمد رشيد رضا .

أما الطريقة التي دخل بها الملك عبدالعزيز حصن الرياض .. مغامرته في الاستيلاء عليه ، ومفاجأته لأميرها ، وحكاية ليلة ٥ شوال ١٣١٩هـ (١٥/١/١٩٠٢م) وصباح ذلك اليوم: فقد كثر الكاتبون عنها، والمسهبون في إيرادها.. ينقل بعضهم عن بعض، ويزيد هذا وينقص ذاك .. وسأحاول أن أجمع بين مختلف الروايات مراعياً التقيد بما نُقل منها عن لسان عبدالعزيز في أحاديثه الخاصة على الأكثر : تحرك عبدالعزيز من يبرين أو جوارها على رأس رجاله الستين في العشرين من رمضان ١٣١٩هـ ووجهته الرياض ، ولا يعلم أكثر من معه أين يريد، والمسافة بين المكانين ١٧٥ ميلاً كما سبق القول، فأدركه العيد في موضع يقال له : «أبو جفان» على طريق الأحساء ؛ فعيَّد فيه ، ورحل منه ليلة ثالث شوال ؛ فوصل إلى ضلع الشقيب على مسيرة ساعة ونصف للراجل من الرياض ؛ فحط الرحال ، وأنيخت الركاب ، وترك عندها عشرين رجلاً .. وتقدم بالأربعين على أقدامهم ، وفيهم أخوه محمد [(١)]، وابن عمه عبدالله بن جلوي بن تركي[(٢)] .. ولما اقترب من الرياض (وكانت الساعة الثالثة عربية .. التاسعة ليلاً) دخل «نخلاً» في شرقيها [(٣)] ، فاستبقى ثلاثة وثلاثين [(٤)] من

(١) محمد بن عبدالرحمن أكبر أخوة الملك عبدالعزيز .. ولد في الرياض بعده بنحو ستة أشهر .. تأتي ترجمته في الكلام على أسرة عبدالعزيز [الزركلي] .

(٢) عبدالله بن جلوي يأتي الحديث عنه في فصل أفرد له [الزركلي] .

(٣) لم يصح دخول عبدالعزيز من جهة الشميسي ، كما جاء في الطبعة الأول ، وحقق الشيخ عبدالله ابن خميس دخوله من شرقي الرياض مما يلي «نخل العود» [الزركلي] .

(٤) في ابن سعود سيد نجد ومصادر أخرى : أن الذين دخلوا مع عبدالعزيز كانوا عشرة أشخاص .. إلا أن المروي عن لسانه : أنهم كانوا سبعة وهم : عبدالله ، وعبدالعزيز ، وفهد أبناء جلوي بن تركي ، وناصر بن سعود ، واثنان من خدامهم هما المعشوق وسبعان [الزركلي] .
قال أبو عبدالرحمن : الأستاذ الزركلي رحمه الله يعلم أنه عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي ، ولكنه استعملها بالمعنى الأعم الذي يشمل الجد .. استعمل ذلك وهو ليس في موضع لبس .

معه ، وجعل قيادتهم لأخيه محمد ، وقال لهم : لا حول ولا قوة إلا بالله .. إذا لم يصل إليكم رسول منا غداً ؛ فأسرعوا بالنجاة ، واعلموا بأننا قد استشهدنا في سبيل الله .. ومضى بالسبعة قدماً ، وكان أول همه أن يقتحم قصر المسمك (ويقال له : المصمك) ، وهو المعقل[1] الذي اعتصمت بـه حامية ابن رشيد في العام الماضي ، وفيه يقيم أمير الرياض من قبل آل رشيد (واسمه عجلان بن محمد العجلان) .. وكان يحيـط بمدينـة الرياض كلها سور هدمه ابن رشيد بعد استيلائه عليها سنة ١٣٠٩هـ (١٨٩١م) .. قال خالد الفرج : إن الدرس الذي تعلمه عبدالعزيز من تجربة السنة الماضية جعله يدرك أن الاستيلاء على بلدة الرياض لا يفيد ما دامت الحامية في الحصن (القصر) .

وكانت هناك بيوت تقارب جدار القصر الخارجي يسكن أحدها فلاحٌ يتجر بالبقر اسمه جويسر يعرفه عبدالعزيز ويعرف بعض نسائه ، وقد كن من خادمات آل سعود فيما مضى ؛ فطرق بابه، فصاحت امرأة من داخله : من ؟ .. فأجابها: أنا ابن مطرف أرسلني الأمير عجلان لأطلب من جويسر أن يشتري له بقرتين..

(١) قال أبو عبدالرحمن : على الرغم مـن أن لهـذه الكلمة بالصاد أصلاً من الفصحى ، وهو أن مادة «صمك» لها معان منها القوة ؛ فيكون المصمك بمعنى المقوى : إلا أن المحقق عندي أنها المسمك بالسين ، ونطقها العوام بالصاد على الإبدال ؛ لأنها أسهل نطقاً في هذه الصيغة ، وأفخم نبرة .. وهـي تعني السقف وطول الحائط .. قال الزبيدي في تاج العروس ١٣/٥٨٥ ـ ٥٨٦ : «وسمكة يسمكه سمكاً فسمك سموكاً .. أي رفعـه فارتفـع ؛ فاللازم والمتعدي سواء، وإنما يختلفان بالمصادر.. والسماك ككتاب ما سمك به الشيئ .. أي رفع حائطاً كان أو سقفاً .. جمعه سمك ككتب .
والسمك السقف أو هو من أعلى البيت إلى أسفله ، وقال الليث : السمك القامة من كل شيئ .. يقال: بعير طويل السمك .. قال ذو الرمة :

نجائـب مـن نتـاج بـني عـزيـر
طـوال السمـك مفرعـة نبـالا» .

فانتهرته وقالت : أفي هذه الساعة من الليل ؟ .. فألح عليها [١] ؛ فنهض جويسر ففتح الباب، ووضع عبدالعزيز رجله في داخل الباب، وأمسك بالرجل ، وقال : إذا تكلمت قتلتك في الحال .. ودخل البيت ؛ فلما رأته النسوة صاح بعضهن وقد عرفنه: عمنا !! .. عمنا عبدالعزيز (والخادم في نجد والحجاز ينادي سيده) : عمي ؛ فأمرهن بالصمت ، وتقدم من معه ؛ فجمعوا من في الدار في غرفة واحدة ، وأوصدوا بابها ، وفر جويسر ؛ فاختبأ في ضلع البديعة [٢] ، ولم يره عبدالعزيز .

نجح عبدالعزيز في اقتحامه سور القصر، وبقي عليه أن يجتاز بيتاً آخر؛ ليصل إلى منزل تقيم فيه إحدى زوجات عجلان ، ويبيت عجلان عندها أحياناً اسمها لـولـوة [٣] بنت ابن حماد من أهل الرياض ؛ فتسلق جدار البيت الذي هو فيه مستعيناً بجذع نخلة مقطوعة[٤]، ونزل في البيت المجاور له ؛ فوجد رجلاً وزوجته نائمين ؛ فلفهما في فراشهما ؛ فاستيقظا ، فهددهما إن تكلما ، وحُملا إلى غرفة ، وأغلق عليهما الباب .

---

(١) يقول الريحاني وحافظ : إن المرأة قالت : اذهب لا بارك الله فيك ما جئت تبغي البقر ؛ بل تبغي الفساد .. أو قالت : يا فاجر .. فأجابها : لا والله يا خالة ما جئت لهذا ؛ بل أبغي صاحب البيت ، وأخشى أن يقتله الأمير غداً إذا لم يُلبِّ أمره الآن .

(٢) البديعة قصر خص في أيام الملك عبدالعزيز بالضيوف الذين يفدون عليه من خارج البلاد [الزركلي] .

(٣) لولوة اسم مخفف من لؤلؤة ، وسماها خالد الفرج «موضى» خطأ ، وقال الملك : (ولم يسمها): كان أبوها وعمها من خدامنا ، وهي لا تزال في قيد الحياة إلى الآن [الزركلي] .. قال أبو عبدالرحمن : ولكن الملك عبدالعزيز سماها في رواية فؤاد حمزة .

(٤) انفرد كنث وليمز بالإشارة إلى وجود جذع النخلة ، على أن الملك يقول : كان يركب بعضنا فوق الآخر، وهذا لا يدل على وجود الجذع ، كما أنه لا ينفيه .

لم يبق بينه وبين المنزل الذي يأمل أن يكون فيه عجلان حاجز ، وقد تنشب المعركة ؛ فأرسل إلى أخيه محمد أن يأتي بمن معه ؛ فدخلوا متسللين ، وتقدم عبدالعزيز برفاقه الأُوَل ؛ فاقتحموا منزل لؤلؤة ، وطافوا بغرفة ؛ فوجدوا في إحداها شخصين نائمين في فراش واحد لم يشك عبدالعزيز في أنهما عجلان وزوجته ؛ فأقبل عليهما وقد أصلى بندقيته ، وإلى جانبه أحد رجاله يحمل شمعة ؛ فرفع الغطاء ؛ فإذا هما امرأتان ؛ فأيقظهما ، فاستوتا جالستين من دون أن يعروهما خوف أو هلع .. وكانت إحداهما لؤلؤة زوجة عجلان ، والثانية أختها امرأة أخيه .

ونظرت لؤلؤة إلى عبدالعزيز ؛ فعرفته ؛ فقالت : عبدالعزيز ؟ .. قال : نعم [قالت :] .. ماذا تبغي ؟ .. [قال :] زوجك .. [قالت :] إن رأوك قتلوك .. [قال :] ما عليك مني .. أين عجلان ؟ .. [قالت :] هنا في القصر .. وأشارت إلى المكان الذي هو فيه .. [قلت :] متى يخرج ؟ .. [قالت :] بعد طلوع الشمس بساعة [1] ، وأود وا أن تقتل كل شمري في هذا البلد إلا زوجي .. وقطع الحديث بأن أمرها بالصمت هي ومن في البيت ، وأشار إلى رجاله أن يحشروهن في غرفة واحدة ، ويوصدوا بابها .. وكان بين هذا البيت والبيت الذي قبله باب ؛ فأزيل ودخل بقية الأربعين .

وعجلان بن محمد العجلان الحائلي من ثقات عبدالعزيز ابن رشيد ، وهو مولى من مولدي حائل يعد من الشجعان ، وفيه عتوٌّ .. ذاق منه المخلصون لآل سعود في الرياض الأمرَّين .. كان يبيت على الأكثر في القصر الداخلي ،

(١١٧) الريحاني ، وحافظ ، وخالد ، ..وفي قلب الجزيرة ، وصقر قريش : أنها أجابت عن السؤال الأخير : بأنه يخرج قبل شروق الشمس [الزركلي] .

ويفصل بينه وبين منزل لؤلؤة ساحة فيها مرابط لخيله ، ومن عادته أن يخرج بعد طلوع الشمس ؛ فيستعرض الخيل ، ويأتي منزل لؤلؤة ؛ فيشرب القهوة ، ويتناول طعام الإفطار ، ثم ينصرف إلى تصريف أعمال الإمارة .. وباب القصر الداخلي من الطراز القديم .. بوابة كبيرة في وسطها إلى الأسفل باب صغير يسمونه «الخوخة» .. وهذا الاسم معروف في بلاد الشام أيضاً ، والخوخة لا تتسع لأكثر من شخص واحد يدخل أو يخرج .

وكانت الساعة الثامنة عربية (الثانية بعد نصف الليل) (١) حين تجمَّع الأربعون حول عبدالعزيز في منزل لؤلؤة ؛ فأكلوا شيئاً من التمر وجدوه في المنزل (٢) ، وقام عبدالعزيز نفسه يصنع القهوة بيده (٣) له ولرجاله ، وينفخ النار.. وعمل القهوة في بلاد العرب يستنفد نحو ساعة من الزمن ؛ لأنها تطبخ على الحطب وتُروَّق وتصفَّى خلافاً لما هي عليه في البلاد الأخرى ، وناموا بعد القهوة جميعاً .. قال خالد الفرج : ناموا كأنهم في بيوتهم وإن صوتاً واحداً من إحدى أولئك النسوة كاف للقضاء عليهم !! .. وقال : سمعت الأمير عبدالله بن جلوي - وهو أحد السبعة المختارين من الأربعين - يُعرف بالشجاعة قائلاً : الشجاع الذي يكون في الحرب وهو كأنه في عرضة .

وبعد نوم ساعة واحدة أو أقل طلع الفجر ، وأذن الصبح ؛ فنهض عبدالعزيز ، فصلى برجاله قارئاً في ركعتيه سورتين من قصار السور بصوته

(١) تاريخ نجد .. وفي كتاب المملكة العربية : كانت الساعة التاسعة والنصف .. أي الثالثة والنصف صباحاً [الزركلي] .

(٢) خالد [الزركلي] .

(٣) صقر الجزيرة [الزركلي] .

الهادئ ذي النغمة الجميلة (١٢١) ؛ حتى ليكاد السامع يَعُدُّ حروفه (١٢٢) ، ثم جلس يسبح ويبتهل ، والتفت إلى رفاقه بعد ذلك يتحدث إلى أقربهم إليه حتى طلعت الشمس يوم ٥ شوال ١٣١٩هـ (١٥/١/١٩٠٢م) .

وكان حديث عبدالعزيز ومن معه بعد صلاح الصبح فيما يجب أن يعملوا عند ظهور عجلان ، وبدت لهم فكرة ؛ فأرسلوا يسألون بعض النسوة : من الذي يفتح الباب للأمير حين مجيئه ؟ .. فقلن : فلانة .. فألبسوا رجلاً منهم لباس تلك المرأة ، وقال له عبدالعزيز : إذا دق عجلان فافتح له ليدخل علينا .

وصعد عبدالعزيز وبعض رجاله إلى غرفة فوق التي هم فيها لها فتحة يُرى منها باب القصر ، وجلسوا يرتقبون .

طلعت الشمس ، وفتحت بوابة القصر ؛ فخرج بعض الخدم منطلقين إلى البيوت المجاورة .. كل إلى أهله (١٢٣)، وأخرج السُواس خيلاً ربطوها في مكان واسع معرضة للشمس .

وبدا لعبدالعزيز ورفاقه رأي جديد هو أن يخرجوا من مكمنهم ويقتحموا القصر ؛ فيفاجئوا الأمير فيه ؛ فنزلوا ، وأخبروا أصحابهم ، وانطلق عبدالعزيز خارجاً من منزل لؤلؤة يتبعه نحو خمسة عشر رجلاً .

غير أن الأمير عجلان كان في خلال نزولهم قد نزل أيضاً من قصره ، وخرج من البوابة ومعه نحو عشرة رجال ، وأقبل يريد البيت الذي خرجوا منه ،

---

(١٢٢) قال أبو عبدالرحمن : من أخبر العطار بهذه التفاصيل التي لا توجد عند غير ؟! .

(١٢٣) هذا ترتيب وضعه الأمير عجلان لرجاله وخدامه .. يبيتون الليل في قصره ؛ فإذا أصبحوا خرجوا إلى بيوتهم كما يفعل هو أيضاً ؛ مبالغة في الاحتراس [الزركلي] .

وتوقف قليلاً في طريقه يستعرض الخيل على عادته ، وأغلقت البوابة بعد خروج عجلان ، وما كاد عبدالعزيز يبتعد خطوات عن أصحابه متجهاً إلى القصر حتى رأى عجلان وهو ينظر إلى الخيل ، والتفت عجلان فرآه .. وقامة عبدالعزيز لا تخفى على أحد .. كان عبدالعزيز يحمل بندقية ذات رصاصة واحدة، وسل عجلان سيفه ، وأومأ به إليه، وصوب عبدالعزيز بندقيته وأطلقها، وأصيب عجلان في غير مقتل ، فسقط السيف من يده ، وانفتل راجعاً يريد باب القصر وقد سبقه إليه بعض رجاله ، وعدا عبدالعزيز وراء عجلان ؛ فأدركه وهو يجمز داخلاً ؛ فأمسك برجليه يجرهما ، وتعلق عجلان بيديه في الداخل ، ورماه فهد بن جلوي بحربة أخطأته واستقرت في الباب ، وأخذ جماعة عجلان يطلقون الرصاص ، ويلقون الحجارة من أبراج القصر ؛ فقتلوا اثنين من رجال عبدالعزيز، وجرحوا أربعة ، وتمكن عجلان من ضرب عبدالعزيز برجله على شاكلته (خاصرته) فأوجعه ، وانفلت منه ، واستمر داخلاً ، وأراد عبدالعزيز اللحاق به ؛ فاعترضه بعض رفاقه [١]، وسبقه عبدالله بن جلوي ؛ فدخل والنار تنصب عليه ؛ فأطلق على عجلان رصاصة أصابت المقتل وألقته صريعاً [٢].

قُتل عجلان ، وصاح عبدالعزيز برجاله يستفزهم [٣] ؛ فاقتحموا القصر، وفتكوا بنيف وثلاثين رجلاً ممن فيه ، وتحصن نحو عشرين رجلاً في جهة منه ؛

(١) قال أبو عبدالرحمن : في إملاء الملك عبدالعزيز على فؤاد حمزة : أنه أخوه .. وليس معه من إخوانه غير الأمير محمد .

(٢) في رواية الهزاني ـ وهو شاهد عيان ـ أنه أخرجه من المسجد ، وذبحه .

(٣) الأذوق ، والأصح المناسب للسياق : يحرضهم .. ولعل العبارة قبل التطبيع : يستنفرهم .

فأمنهم عبدالعزيز على أرواحهم [١] ، فسلموا ، ونادى المنادي : المُلك لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن » [٢] .

وقال الريحاني : «١٣١٨هـ / ١٩٠٠م زحف هذا الجيش ، وعدده نحو عشرة آلاف يقوده الشيخ مبارك ؛ فقطع الصمان ثم الدهناء ، ونزل على ماء دونها يعرف بالشوكي [٣] ، وهنالك أذن لعبد [٤] العزيز بن عبدالرحمن - إجابة لطلبه - بأن يسير بفرقة من هذا الجيش ألف رجل من البادية إلى الرياض ؛ فيستولي عليها .

افترق الجيشان في الشوكي [٥] ؛ فزحف عبدالعزيز [ابن] سعود جنوبا بغرب إلى عاصمة أجداده التي وصلها بعد يومين ، وكان في باكورة غزواته موفقاً ؛ فقد احتل المدينة ما عد الحصن الذي احتمت فيه حامية ابن الرشيد ؛ فعزم على حفر نفق إليه ، وباشر ورجاله العمل .

وأما مبارك فكان قد احتل بلداناً عدة في نجد بدون قتال ، بل كان أهلها يرحبون به ؛ لعلمهم أن حليفه ابن سعود .. أما ابن الرشيد فكان قد تقهقر وهو لا يريد أن ينازل جيشاً أكبر من جيشه ، وظل يتقهقر حتى جر العدو إلى قلب القصيم ؛ فوقف له عند الطرفية التي تبعد خمسة عشر ميلاً من بريدة إلى الشمال .

---

(١) تاريخ نجد الحديث ، والبلاد العربية السعودية ، وجزيرة العرب ، وصقر الجزيرة [الزركلي] .

(٢) شبه الجزيرة ١/٧٥ ـ ٩٦ .

(٣) في الأصل : الشوكة .

(٤) في الأصل : عبد .

(٥) في الأصل أيضاً : الشوكة .

وفي جوار هذه القرية (في مكان يدعى الصريف) في ٢٦ ذي القعدة من هذه السنة ١٦ شباط ١٩٠١م ، اشتبك الجيشان وتلاحما طيلة ذاك النهار ؛ فكانت الوقعة من أعظم وقائع العرب الحديثة ، ودارت فيها الدوائر على ابن الصباح وحلفائه .. خسر الشيخ مبارك عدداً كبيراً من رجاله ، وشيئاً كثيراً من عتاد الحرب ؛ فعاد ومن تبقى من الجيش منهزمين إلى الكويت .

وكان الظافر قاسياً عاتياً ؛ فقد أمر بقتل جميع الأسرى ، ثم زحف إلى البلدان النجدية التي كانت قد سلمت إلى صاحب الكويت ، فنكل برؤسائها ، ونزع السلاح من أهلها ، وفرض عليهم الضرائب الفادحة .

أما عبدالعزيز بن سعود فلما علم بوقعة الصريف أخلى الرياض ، التي احتلها أربعة أشهر فقط ، وعاد برجاله إلى الكويت ، فاستولى بعد ذلك ابن الرشيد الاستيلاء كله على جميع أنحاء نجد .. ولكن هذا الاستيلاء لم يدم طويلاً لأن وقعة الصريف كانت فريدة في نتائجها وعواملها .. هي وقعة كان الظافر فيها مغلوباً ، وكانت أول خطوة في سقوط ابن الرشيد عبدالعزيز ، كما أن حملة عبدالعزيز ابن سعود على الرياض هي أول خيبة في فتوحاته .

بعد وقعة الصريف واستتباب السيادة الرشيدية في نجد شد الظافر ثانية على ابن الصباح ؛ فنزل حفر الماء المعروف الكائن في منتصف الطريق بين القصيم والكويت [1] ، وراح يوسف آل إبراهيم يشحذ بالاصفر الرنان عزم الدولة أو الحري عزم أولي الأمر من رجالها في العراق .

وكانت شكوى الموتورين أبناء أخوي الشيخ مبارك قد وصلت إلى الآستانة

(١)راجع الحفر ٢/١٤٩ من «ملوك العرب» الطبعة الخامسة [الريحاني] .

ففتحت لها السياسة أذنها وكانت بريطانيا حينئذاك وراء الستار فقال السفير الكلمة التي طالما أصاخ لها الباب العالي فأنذر صاحب الكويت نعم ، انتقلبت الدولة التركية على الشيخ مبارك ، وهو الذي ساعدها لتستولي على الحساء ، فسيرت إلى الكويت باخرة حربية .

وكان ابن الرشيد قد زحف إلى أطراف البلاد وهم بالهجوم على الجهرى ، تلك البلدة الكائنة وراء الخليج على ضفة الجون الغربي على مسافة خمسة عشر ميلاً من العاصمة ، أحاط الأعداء بالشيخ مبارك ، وحاقت بالحوافة الأخطار ، ولكنه لم يفقد من عزمه ودهائه شيئاً ، فعندما رأى نفسه وبلاده في شبه الحصار فتح قلبه للدولة الأخرى الراسية بواخرها الحربية عند الشاطئ الفارسي من الخليج، أرسل إلى أبي شهر يستنجد بالانكليز، فجاء ه بعد ثلاثة أيام مركب حربي ورسا في مياه الكويت عشرين يوما .

تلبد جو السياسة في بغداد والبصرة ، فابتسم مبارك وهو يجهز الحملة الثانية على ابن الرشيد ، بل ضحك وهو زاحف إلى الجهرى ، المركب الحربي سائر على مرأى من الجيش إليها أتبغون حصاري براً وبحراً ؟ .. ها أنأذا جئتكم بحراً وبراً بالقوات التي لا تغلب .

ولم يطلق المركب الحربي مدفعاً ، إلا أن الربان أذن ببعض المدافع الرشاشة فأنزلت في الزوارق إلى البر ومعها ضباط علموا الكويتيين استخدامها ثم خصر ببال ذلك الربان الذكي أن يرهب العربان بالأسهم النارية ؛ فأرسلها ليلاً في الفضاء وكان لها التأثير المطلوب ، قيل إن ابن الرشيد ورجاله لاذوا بالفرار عندما رأوا النيران تشتعل في كبد السماء .

بعد هذا الحادث وتلك الأسهم النارية أدرك الأمير الشمري أنه بدون مساعدة الدولة مباشرة لا يستطيع الاستيلاء على الكويت ، فعاد بجشيه إلى الحفر ، وشرع يفاوض الأتراك في بغداد ، فلما علم الشيخ مبارك بذلك أراد أن يشغله بنجد وراء الدهناء .

وكان السعد في وجود آل سعود بالكويت خادماً لمبارك ، هوذا عبدالعزيز يأبى أن يقف في الغزو عند خيبته الأولى ، وهذا عبدالعزيز منذ رجوعه من الرياض يلح على والده ليستأذن من الشيخ مبارك بإعادة الكرة على ابن الرشيد، فأذن الشيخ حباً وكرامة.

ولكن الغزو يكون جماعة ، والجماعة اثنان وأربعون رجلاً من عائلة آل سعود وخدامهم السابقين حاضرون ، لا يلزمهم غير الركائب والبنادق والزاد ، وشيئ من المال ، أجاب الشيخ مبارك الطلب فأعطى عبدالعزيز أربعين ذلولاً ، وثلاثين بندقية ، ومئتي ريالاً ، وبعض الزاد .

خرج بهذه الشرذمة من الكويت ، خرج ينحر كان عبدالعزيز في الواحد والعشرين من سنيه عندما يقصد البوادي ليزيد على الأقل عدد رجاله ، نحروا العجمان فتردد الرؤساء فيهم ولكن كثيرين من العامة انضموا إلى غزو ابن سعود ، وكذلك آل مرة وسبيع والسهول ، فاشتد ساعد عبدالعزيز ، أصبح معه بدل الأربعين ذلولاً ألف ذلول ، وأربعمئة خيال .

هو جيش في البادية يذكر ، ركب القائد الشاب على رأسه يقطع الصمان والدهناء فوصل إلى مكان بنجد يقال له العرض وغزا هناك عرب قحطان الذين كانوا تابعين لابن الرشيد، فأصاب منهم مغنماً كبيراً، وعاد إلى ناحية الحساء .

عندما علم ابن الرشيد بهذه الغزوة هجم في أطراف الكويت على قبائل عريبدار [1] ليظهر أنه لا يبالي بمثل هذا العدو .

ولكن ابن سعود بعد أن مون جيشه في الحساء خرج غازياً مرة أحرى فوصل إلى سدير ، فأغار هناك في مكان يدعى عشيرة على قبيلة من قحطان وأخرى من مطير فأخذهما ورجع بالغنائم فنزل ثانية في أطراف الحساء ، وكان جيشه يزداد في كل غزوة حتى أصبح ألف وخمسمئة ذلول وستمئة خيال .

أما ابن الرشيد فعاد بجيشه إلى الحفر ، ولما بلغه خبر غزوات ابن سعود الموفقة أرسل رسولاً اسمه الحازمي إلى الشيخ قاسم بن ثاني يستنهضه على هذا العدو الجديد، ثم كتب إلى حكومة البصرة لتوعز إلى حكومة الحساء بطرد ابن سعود من تلك النواحي وبتحريض البوادي عليه ، أجابت الحكومة طلب ابن الرشيد ، فشرد خوفاً منها ومنه أكثر من ألف هجان ومئة خيال من جيش ابن سعود ، فلم يبالي بذلك لأنه لم يكن ليركن إلا لرجاله الأربعين الأولين .

غزا بما تبقى معه الغزوة الثالثة فوصل إلى جنوبي نجد وأغار هناك على قبائل من الدواسر فلم يصب مغنماً كبيراً ، ولكنه عاد إلى ناحية الحساء ، وكان وقت الشتاء فتفرق البدو طالبين المرعى لمواشيهم ، ولم يكن ليربطهم بابن سعود إلا حب الكسب ، فمن أين له والحاله هذه أن يكرههم على البقاء .

أربعون رجلاً ظلوا أربعين يوماً بعد أن ذاقوا حلاوة النصر ومر الفشل والخسران ولم يكن لعبدالعزيز الشاب ما يشحذ عزمهم ، يفتح لآمالهم ولو كوة من نور ، استمر ابن الرشيد يحرض الأتراك وصاحب قطر عليه ، فكتب إليه

---

(١) مطلق هذا الاسم على خليط من العرب لا ينتسبون إلى قبيلة من القبائل [الريحاني] .

والده والشيخ مبارك يسألانه أن يرجع إلى الكويت فأبى ، وعندما اشتد عليه ضغط حكومة الحسا فر ورجاله هاربين جنوباً فوصلوا إلى مكان ما بين حرض وواحة جبرين ، وأقاموا هناك شهراً .

وكان ابن الرشيد لا يزال في الحفر وهو يستنجد الأتراك في احتلال الكويت، ويستحثهم على عدوه الجديد بل على آل سعود كلهم، وهم ابن الرشيد أن يحصر هذا الصغير سميته في تلك الواحة القصيه على حاشية الربع الخالي[١] .

تشتت جيش عبدالعزيز وتزعزعت أماله ، فنهض يضرب الضربة الأخيرة، وهو يرجو أن تكون القاضية أما عليه وأما على خصمه ، اعتزم هجوم ثانية على الرياض فإما أن يستولي عليها وإما أن يقتل في سبيلها .

وكانت قوته يومذاك ستين رجلاً لا غير ، أي أنه لم يبقى معه من هذا الجيش الذي كان عدده ألفين سوى عشرين مقاتلاً ، وكان في الرياض قلعتان الواحدة ضمن الأخرى شيدهما ابن الرشيد وأقام فيهما تسعين من رجال يرأسهم أمير اسمه عجلان .

وخرج ابن سعود والستون البواسل من مراحهم بين حرض وجبرين في ٥ رمضان ووجهتهم الرياض ، فوردوا ليلة العيد أبا جفان ، وساروا منه في اليوم التالي فوصلوا في ٤ شوال إلى حدود الرياض ، ونزلوا في الساعة الثالثة عربية التاسعة ليلاً في ضلع يبعد ساعتين عن العاصمة .

ترك عبدالعزيز عشرين من قومه هناك كجيش احتياطي ، وتقدم بالأربعين الآخرين ، وفيهم أخوه محمد وعبدالله بن جلوي أمير الحسا يومذاك،

---

(١) واحة جبرين هي على مسافة مئة وستين ميلاً من الحسا جنوباً ومئة وخمسة وسبعين ميلاً من الرياض شرقاً بجنوب [الريحاني] .

فلما وصل إلى البساتين خارج السور أقام أخاه محمد ومعه ثلاثون رجلاً هناك، ومشى بالعشرة الباقين إلى غرضه ، ولكنه لم يتمكن من الدخول إلى الحصن الخارجي أي حصن السور إلا من البيت المحاذي وهو لفلاح يتاجر بالبقر .

قرع عبدالعزيز الباب فأجابت امرأة تقول : من أنت ؟ .

عبدالعزيز : رجل من رجال الأمير عجلان أريد من رجلك أن يشتري لنا بقراً صباح الغد .

الامرأة : خسئت يا شبه الرجال ما جئت تبغي البقر يا فاجر بل جئت تبغي الفساد.

عبدالعزيز : لا والله ليس هذا مأربي : بل أبغي صاحب هذا البيت فإذا لم يخرج إلي الآن فالأمير يقتله صباح الغد .

سمع الرجل هذا التهديد فجاء يفتح الباب ، وكان عبدالعزيز يعرفه من الهجوم الأول في السنة الماضية ، ويعرف حريمه وفيهن من كن خادمات سابقاً في بيت سعود ، فلما خرج أمسكه بيده قائلاً : إذا تكلمت قتلتك في الحال ، فصاح النساء وقد عرفنه : عمنا [1] عمنا عبدالعزيز عبدالعزيز : لا بأس عليكن إذا سكتن ، قال هذا وقد أدخلهن إلى غرفة واقفل عليهن الباب .

ثم تسلق الجدار إلى البيت الآخر عند الحصن . فإذا فيه شخصان نائمان على فراش واحد، فلفهما بالفراش وحملهما إلى غرفة صغيرة ، فأودعهما هناك وأقفل الباب.

اطمأن من عبدالعزيز ؛ فأرسل يطلب أخاه محمد والباقين فجاؤوا دون أن يشعر بهم أحد واجتمعوا كلهم في ذاك المكان .

---

(١) في بعض أقطار البلاد العربية كنجد والحجاز ينادي الخادم سيده : عمي .

وكان البيت الآخر إلى جانب الحصن للأمير عجلان ، وفيه إحدى نسائه وهو يزورها تارة في الليل وطوراً في النهار ، مشى عبدالعزيز وعشرة من رجاله إلى ذلك البيت ، فدخلوه وطافوا بغرفه ، فوجدوا في إحداها اثنين نائمين على فراش واحد فظنهما عبدالعزيز الأمير عجلان وامرأته .

دخل مستللاً ومعه رجلاً يحمل سراجاً ، فلما دنا من الفراش رفع الغطاء فإذا هناك امرأتان ، فأيقظهما ، فاستوتا جالستين دون أن يعروهما شيئ من الخوف ، وكانت الواحدة منهما امرأة عجلان والأخرى أختها امرأة أخيه .

عرفت امرأة عجلان الرجل فبادرته بالقول : أنت عبدالعزيز : فأجابها : نعم ، فقالت : من تبغي ؟ .. ابغي زوجك ، فقالت وهي تقسم بالله : إني أحب أن تقتل كل من في البلد من شمر إلا زوجي ، ولكني أخشي عليكم منهم ، أخشى أن يقتلوك يا عبدالعزيز .

عبدالعزيز : ما سألناك عن هذا الأمر ، إنما نريد أن نعرف متى يخرج عجلان من الحصن الداخلي .

امرأة عجلان : لا يخرج إلا بعد طلوع الشمس بساعة .

عبدالعزيز : هذا كل ما نبغيه منكن ، ولا بأس عليكن إذا سكتن ، قال هذا وهو ورجاله يسوقون الامرأتين وبقية النسوة إلى غرفة واحدة ، فحبسوهن فيها ، ثم كسروا الباب الذي يوصل إلى البيت الذي كان فيه بقية الرجال فدخلوا منه ، واجتمعوا كلهم في بيت عجلان .

وكان الساعة الثامنة عربية (الثانية بعد منتصف الليل) فاستراحوا ، وأكلوا التمر ، وشربوا القهوة وناموا قليلاً ، ثم شرعوا عند انبثاق الفجر يدبرون

طريقة للهجوم على الحصن الداخلي ، وبعد قليل فتح ذلك الحصن فأخرج بعض العبيد الخيل إلى الشمس ، فلما رأى عبدالعزيز البوابة مفتوحة خرج عادياً ، فتبعه من رجاله خمسة عشر رجلاً فقط .

واتفق أن الأمير عجلان كان قد خرج من الحصن عند هجومهم عليه وهو قادم إلى بيته ، فلما رآهم اعتراه الدهش والرعب فنكص ورجاله على أعقابلهم وهو يبغون الرجوع ، ولكن البوابة إلا الخوخة (الباب الصغير فيها) كانت قد اقفلت ، وبينما كان ورجاله يدخلون من ذاك البويب أطلق عبدالعزيز البندقية عليه فأصابه ولم يقتله ، ثم أدركه وقد صار نصفه داخل الخوخة فأمسكه برجليه وسحبه إلى الخارج فتصارع الاثنان برهة .

وأما الرجال الذين كانوا قد دخلوا الحصن فصعدوا إلى أحد الأبراج المشرفة على السوق، وشرعوا يطلقون النار من المصاليت على رجال ابن سعود، فجرحوا أربعة منهم وقتلوا اثنين .

وتراجع الهاجمون إلا عبدالله بن جلوي فكان أول من دخل الحصن ، وراح يعدو وراء عجلان الذي كان قد تفلت من عبدالعزيز ، فرماه بالرصاص فخر لوجهه قتيلاً .

ونادى عبدالعزيز برجاله واستفزهم فاقتفوا أثر عبدالله ، هجموا على الحصن هجمة واحدة ، فصاحوا بمن فيه وفتكوا بهم ، فقتلوهم إلا عشرين رجلاً كانوا قد تحصنوا في جهة منه ، ولكن عبدالعزيز أمنهم على حياتهم فسلموا .

وبعد سقوط الحصن في الخامس من شوال ١٣١٩هـ (١٥ كانون الثاني سنة ١٩٠٢م) والاستيلاء على الرياض باشر الأمير السعودي الشاب بناء

السور الجديد القائم حول أقسام متهدمة من السور القديم فتم بناء ه في نحو خمسة أسابيع»[1] .

وقال أحمد علي : «لقد ظل عبدالعزيز في الرياض يستطلع أخبار حملة الشيخ مبارك مؤجلاً نشاطه وتقدمه لاحتلال مركز الحامية إلى تلقي أخبار الشيخ مبارك ، وجاء ت الأخبار أن القوتين اشتبكتا في مكان يعرف بالصريف بمقاطعة القصيم، وأن قوات الشيخ مبارك منيت بهزيمة اضطر من أجلها الشيخ مبارك إلى الرجوع إلى الكويت .. أدرك عبدالعزيز بدهائه وبعد نظره أن القبائل المنتصرة في الصريف لابد وأن تتوجه إلى الرياض ، ورأى من الحكمة التخلي عن الرياض مؤقتاً ، وبناء عليه غادر الرياض وعاد إلى الكويت[2] .

بيد أن فكرة استرداد ملك آبائه التي اختمرت في رأسه قد نمت وكبرت وأصبحت شغله الشاغل، وما جاء ت سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م) حتى نفذ الفكرة.

خرج عبدالعزيز سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م) من الكويت مع أربعين رجلاً[3] من خاصته إلى نجد ، والتحق به بعض آل مرة وسبيع أثناء الطريق واصطدم وهو في طريقه إلى الأحساء ببدو تابعين لآل رشيد وهزمهم ، واتخذ الأحساء قاعدة لتموينه ، ومن هناك تقدم إلى نجد ، واعترضه في سدير رجال من قحطان ومطير ؛ فقابل قوتهم بقوة ، وكتب الله له النجاح عليها ، وعاد من سدير إلى الأحساء .. ولما درى ابن رشيد بانتصارته على القبائل المحالفة له

---

(١) تاريخ نجد الحديث ص ـ ١٢٦ .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : بل أرسل له والده الإمام عبدالرحمن من يخبره بالهزيمة ، ويستحثه على الخروج من الرياض .

(٣) المؤكد أنهم ستون باتفاق ، ويزيدون قليلاً عند بعضهم .

حرض عليه ابن ثاني أمير قطر من جهة وحكومة البصرة من جهة أخرى ، فانحاز عبدالعزيز إلى جنوب الأحساء بواحة يبرين ، وأقام بها شهراً تقريباً .

وفي شهر رمضان سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م) خرج عبدالعزيز من مكمنه مع ستين رجلاً ، وبعد مسير شهر تقريباً وصل إلى أطراف الرياض حيث أنزل ثقله عند تل من تلال الرياض يبعد عنها ساعتين [١] .

وفي ظلام الليل وهدوئه تقدم عبدالعزيز مع أربعين من رفاقه إلى سور البلدة ، ومن ثم دخل البلدة عن طريق دار بقار كان يعرفه مع عشرة من جماعته وأبقى الباقين وراء السور [٢]، وخشي من جلبة النساء فحجزهن في غرفة لئلا تخرج إحداهن فيشيع الخبر وانتقل من دار البقار إلى دار عجلان [٣] أمير الرياض من قبل ابن رشيد ، حيث كانت إحدى زوجاته وأختها فعرفتاه ، ولما سألهما عن عجلان قالتا : إنه في الدار الثانية ، ولا يأتي إليهما إلا بعد طلوع الشمس ؛ فأغلق عليهن الباب، وأرسل إلى رفاقه الثلاثين فأتوا.

لقد كانت ليلة رهيبة ، ومغامرة خطيرة بين الحياة والموت ، كتب بها عبدالعزيز عنوان تاريخ عظيم من تاريخ الجزيرة العربية ستظل الأجيال القادمة

في الشرق والغرب تقرأ فصوله وأبوابه وحوادثه بعين ملؤها الإعجاب والإكبار ببطولة عبدالعزيز .

لقد ظل عبدالعزيز مع رفاقه يفكر في هذه المغامرة وكيف تنتهي ؟ ..

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : في هذا اختصار مخل .

(٢) هم ستون أو أكثر وراء السور الشرقي الجنوب أناس ، وفي نخل ابن حوبان ناس ، ودخل بيت جويسر بقله .

(٣) بل إلى دار الشايقي قبل دار عجلان .

وعندما أذن للفجر لم يتأخر عن أداء الفريضة في وقتها رغم اشتغال باله بمصير المجازفة التي بدأ فيها ، وعند طلوع الشمس جاء عجلان إلى الدار التي كان بها عبدالعزيز ورفاقه ، وبمجرد دخوله [١] فوجئ بهجوم مباغت من قبل عبدالعزيز فارتاع وهرب إلى القصر الذي خرج منه ؛ فرماه عبدالعزيز في غير مقتل ، ثم اندفع إليه [٢] وتصارع الاثنان دقائق ، تمكن عجلان أثناء ها من الانفلات وأراد الهروب ؛ فلحقه عبدالله بن جلوي وقتله [٣] ، وبذلك تم احتلال القصر والبلدة .

ونودي بين الأهالي أن الحكم لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل، واستبشر أهل الرياض به وبحكمه ، ووضع عبدالعزيز بهذا الفتح الذي تم يوم ٣ شوال سنة ١٣١٩هـ [٤] (١٥ يناير سنة ١٩٠٢م) أول لبنة في بناء المملكة العربية السعودية .

وأول عمل أمر به عبدالعزيز بعد فتح الرياض تحصينها ببناء سورها منعاً لهجمات ابن رشيد المتوقعة ، كما أرسل إلى أبيه وشيخ الكويت من يبشرهما بدخوله الرياض فاتحاً» [٥] .

وقال الدكتور العثيمين : «رأى الملك عبدالعزيز ما آلت إليه المواجهة

---

(١) لم يدخل ، ولكنهم ظهروا له .

(٢) لم يندفع إليه ، بل ولى هارباً منذ سقط سيفه ، ودخل من الخوخة ؛ فشده عبدالعزيز برجليه يجره وهو متمسك بالخوخة ؛ فرفس عبدالعزيز ودخل بعد أن أخطأه رمح فهد بن جلوي ، ودخل عليه عبدالله بن جلوي ، وأخرجه من مسجد القصر وذبحه .

(٣) أي داخل القصر .

(٤) قال أبو عبدالرحمن : بل يوم خمسة .

(٥) آل سعود ص ١٠٦ ـ ١٠٨ .

العسكرية في معركة الصريف ، وما تلاها من حصار ابن رشيد للكويت ، وترجح لديه أن الظروف المحيطة بأمير البلاد [1] المحاصرة فرضت عليه أن يكون همه الدفاع عن بلاده [2] ، لا القيام بأية حركة جديدة ضد ابن رشيد في نجد .. لكنه رأى أيضاً أنه قد حقق شخصياً مكاسب جيدة نتيجة دخوله الرياض عام ١٣١٨هـ ، ومن هذه المكاسب تجديد معرفته بتلك البلدة سكاناً وأرضاً وتحصيناً ، والظهور أمام الآخرين بمظهر القائد الكفؤ .. ولقد أضاف ابن رشيد من حيث لم يرد مكسباً آخر للملك عبدالعزيز ؛ ذلك أنه اشتد كثيراً في تعامله مع من وقفوا مع خصومه الذين قدموا من الكويت ، خاصة في الرياض والقصيم [3] .. وكان هذا مما زاد من سخطهم عليه ، وتطلُّعهم إلى التخلُّص من حكمه كما ذكر قبل قليل .. وبتأمل الملك عبدالعزيز لكل تلك الظروف اقتنع أنه وحده المؤهل لمحاولة استعادة الحكم السعودي ، وأن الوقت مناسب ليبدأ تلك المحاولة [4] ؛ ولذلك عرض على والده الإمام عبدالرحمن أن يأذن له ببداية نشاطه في هذا المجال ، ولم يشجعه ذلك الإمام في بداية الأمر[5] ؛ لكن إلحاحه المستمر جعله يوافق على ما عرضه .. ومن المرجح أن ابن صباح قد ساعد الملك

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : أي أمير الكويت .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : بل فرض ذلك عليه شدة الغبن ، وإباؤه من أدنى كلمة يسمعها في أزقة الكويت.. وليس بلاد عبدالعزيز في حصار أو قتال فيدافع عنها ؛ وإنما همه إعادة التاريخ المشرق ، وهو ملك آبائه السليب ، وتحركه للرياض هو في ذاته حركة جديدة ضد ابن رشيد ، وكذلك من سبق الفتح من إغارات .

(٣) الذكير نسخة البسام ص ٢٤٢ ، ابن هذلول ، مصدر سبق ذكره ص ٥٦ - ٥٧ [العثيمين] .

(٤) قال أبو عبدالرحمن : ما كان الوقت مناسباً ، وما كان التحرك اختياراً ، بل إباؤه اضطره وأشعله غير بمناسبة الظرف .

(٥) قال أبو عبدالرحمن : لأن الظروف غير مناسبة .

عبدالعزيز في إقناع الإمام [١] بالموافقة أملاً في أن يخفف ما يقوم به الملك في نجد من شدة الحصار الذي فرضه ابن رشيد على بلاده وإن لم يصرفه عنه نهائياً، وأمد ابن صباح الملك عبدالعزيز بأربعين بعيراً وبعض المؤن [٢] .

فخرج من الكويت غازياً عام ١٣١٩هـ ومعه عدد من أفراد أسرته وأقاربه ومؤيديه لا يجاوزون أربعين رجلاً [٣] ، وكان في مقدمة أولئك الرجال من آل سعود أخوه محمد وعبدالله بن جلوي وأخوا عبدالله فهد وعبدالعزيز، وعبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، وعبدالعزيز بن عبدالله بن تركي ، وناصر بن سعود آل فرحان ، وسعود بن ناصر آل فرحان ، وفهد بن إبراهيم آل مشاري، وعبدالله بن صنيتان [٤] .

ومن الواضح أن الملك عبدالعزيز قد رأى في بداية انطلاقه من الكويت أن يلفت أنظار القبائل إليه بالقيام بإغارات جريئة اعتاد الجميع على رؤية أمثالها من القادة المغاوير ، وأعجبوا دائماً بمن يقوم بها ؛ فتوجه بمن معه إلى جهات الأحساء (خاصة أنها ليست بعيدة عن مكان منطلقه ، وأن فيها من كان يؤمل في انضمامه إليه من القبائل) ، ولم يخب ظنه ؛ إذ التحق به حوالي ألف مقاتل من قبائل مختلفة أغلبهم من العجمان وسبيع والسهول وآل مرة [٥] .

وحالفه النصر في إغاراته على بعض العشائر ؛ فأدرك ابن رشيد خطر

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : بل حصل الاقتناع قبل طلب المساعدة والإذن من مبارك .

(٢) تاريخ نجد للريحاني ص١٢١ ، وواضح أن تلك المعونة قليلة إذا ما قورنت بالهدف .

(٣) هكذا قدرتهم أكثر المصادر ، لكن انضم إليهم غيرهم فيما بعد بحيث قاربوا الستين عند دخول الرياض [العثيمين] .. قال أبو عبدالرحمن : مر ، ويأتي إن شاء الله تفصيل ذلك .

(٤) ص ٥٨ [العثيمين] .

(٥) شبه الجزيرة للزركلي ١/ ٨٠ [العثيمين] .

نشاطه ، وحث القادة العثمانيين على الوقوف ضده ؛ فمنع المسؤولون في الأحساء والقطيف كل من يقف معه من التزود بالأطعمة من هذين الإقليمين ، ولذلك فضل المنضمون إليه التخلي عنه [١] ، ولم يبق بجانبه إلا الذين رافقوه من الكويت وعدد لا يبلغ نصفهم ممن التحقوا به بعد ذلك [٢] .

وأمام هذا الوضع توجه بهؤلاء إلى يبرين الواقعة بين قطر والربع الخالي ؛ ليرسم خططه بروية ، وقد حاول والده أن يقنعه بالعودة إلى الكويت ، لكن ذلك لم يزده إلا تصميماً على مواصلة جهوده [٣] .. على أنه رأى أن الأسلوب الذي اتبعه يجب أن يغير بعمل جريئ مفاجئ يحدث صدى بعيداً في المنطقة كلها .. ألا وهو استعادة الرياض لحكم أسرته .

رأى الملك عبدالعزيز أن دخول الرياض عام ١٣١٨هـ لم يكن صعباً ؛ لكنه لم يسفر عن انتزاعها من حكم آل رشيد ؛ ذلك أن عامله عليها اعتصم مع حاميته في قصر المصمك الذي كان قوي البنيان جيد التحصين .. وبما أنه لم يتمكن من اقتحام هذا القصر والقضاء على ذلك العامل أو إجباره على الاستسلام: فإنه لم يتمكن حقيقة من السيطرة على مقاليد الأمور في المدينة؛ ولهذا خطط على أن يتركز هدفه في القضاء على عامل ابن رشيد [٤] ، ومتى قضى عليه أو أرغمه على الاستسلام استتب الأمر له ؛ خاصة أنه قد رأى في

---

(١) شبه الجزيرة للزركلي ١/٨١ [العثيمين] .

(٢) الذكير نسخة البسام ص ٢٤٦ [العثيمين] .

(٣) شبه الجزيرة للزركلي ١/٨٣ [العثيمين] .

(٤) قال أبو عبدالرحمن : وأشار عليه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف أن يكون همه دخول القصر والاستيلاء عليه لا مجرد ذبح عجلان .

العام الماضي تعاون أكثرية سكان المدينة معه ، وكان رفاقه الذين يريد أن ينتزع بهم الرياض من ابن رشيد أقل من ستين رجلاً ، وكان من السهل على خصمه في هذه المدينة أن يقضي على هذا العدد القليل ، أو يصده عن بـلوغ هدفه لو علم بتحركه .. ومن هنا كانت السرية في الحركة والمفاجأة في الهجوم من أهم الأمور التكتيكية التي يجب أن تُراعى .. ومع أن قلة العدد عامل ضعف في المعارك بصفة عامة : فإنها في هذه المناسبة - وطبقاً لتخطيط الملك عبدالعزيز الجديد - عامل [1] يساعد على ما حرص عليه هذا القائد من سرية ومفاجأة .

وفي اليوم الحادي والعشرين من رمضان عام ١٣١٩هـ [2] اقتنع الملك عبدالعزيز بأن ابن رشيد قد استبعد أية حركة منه ضده ؛ فانطلق برفاقه من يبرين متجهين إلى الرياض ، وواصلوا السير نحوها يدلجون ليلاً ، ويكنون نهاراً ؛ لئلا يعلم بهم أحد ، ولم تغب شمس الرابع من شوال ذلك العام ١٣/١/١٩٠٢م إلا وهم على مشارفها الجنوبية الشرقية .. وهناك راح قائدهم عبدالعزيز يضع خطة الدخول إليها والسيطرة على مقاليد الأمور فيها .

كان الملك عبدالعزيز يعلم أنه لا يمكنه الدخول إلى الرياض إلا تسللاً ، وهذا يحتم ترك الإبل المقلة للمقاتلين في المكان الذي وصلوا إليه ، ولذلك قسم رفاقه إلى مجموعتين :

الأولى : وتتكون من عشرين رجلاً تبقى عند الإبل والمؤن ؛ بصفتها

(١) قال أبو عبدالرحمن : لأن أهل الرياض ـ بل عامة نجد ـ في كبت وحنين إلى منقذ من آل سعود ؛ لجمال تاريخهم ؛ ولهذا تعاونوا مع الإمام عبدالرحمن في حملة الصريف .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : بل الثاني والعشرين .

عنصر إسناد إداري [1] ، وعليها أن تنضم إلى بقية الرفاق متى تلقت إشارة القائد بذلك ، أو تنسحب من مكانها إن لم ترد إليها توجيهات منه قبل طلوع الشمس .

والثانية (أو القوة الرئيسية المهاجمة) : تتقدم نحو المدينة .

وقد سار بهؤلاء راجلين حتى بلغوا مزرعة نخيل من مزارعها الساعة التاسعة ليلاً تقريباً ، ثم قسم هؤلاء إلى قسمين أو نسقين يتكون الأول منهما من ثلاثة وثلاثين رجلاً بقيادة أخيه محمد بن عبدالرحمن ، وأمره بالبقاء في تلك المزرعة [2] حتى تصل إليه إشارة منه بالحركة ؛ فإن لم تصل إليه إشارة منه قبل الصباح فعليه أن يغادر المكان طلباً للنجاة .

أما القسم الثاني فيتكون من سبعة رجال بقيادته شخصياً ، وهم عبدالله وعبدالعزيز وفهد أبناء جلوي بن تركي ، وناصر بن سعود آل فرحان ، واثنان من خدام آل سعود هما سبعان والمعشوق [3] ، ومهمته أن يدخل البلدة ليمهد الطريق نحو الهدف الأساسي ، وهو القضاء على عامل ابن رشيد فيها .

دخل الملك عبدالعزيز ورفاقه الستة إلى الرياض دون صعوبة ؛ فالظلام الدامس كان خير ستار لهم ، وأسوار البلدة أو أجزاء كبيرة منها، كانت مهدمة ؛ فلا عوائق أمامهم ، وعددهم كان قليلاً لا يحدث جلبة ولا يثير انتباهاً ،

---

(١) أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه للعميد محمد إبراهيم رحمو ص.٦ [العثيمين] .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : وهي مزرعة ابن حوبان في الظهيرة ، وهناك قسم ثالث ـ غير الذين عند الجيش ـ خلف السور الشرقي الجنوبي .

(٣) شبه الجزيرة للزركلي ٩٧/١ ، [وفيه] أسماء بقية من توجهوا مع الملك عبدالعزيز من يبرين إلى الرياض ، ومنهم أناس من أسرته سبقت الإشارة إليهم موجودة [أسماؤهم] في المصدر المذكور .

واستطاعوا أن يصلوا إلى بيت غير بعيد من بيت عامل ابن رشيد (عجلان بن محمد) ، ثم انتقلوا من ذلك البيت إلى منزل مجاور لبيت العامل المذكور .

وقد اتخذوا من الإجراء ات في هذا المنزل ، وذلك البيت ما رأوه ضرورياً لبقاء تحركهم غير معروف .. وبعد أن اطمأنوا إلى سلامة موقفهم أرسل الملك عبدالعزيز إلى أخيه محمد ومن معه يأمرهم بالالتحاق به ، ونجح هؤلاء في الوصول إليه دون أن يشعر بهم أحد ؛ فتركهم في المنزل رد ءاً ، وتسلق هو ورفاقه الستة الأولون إلى بيت عجلان الواقع أمام قصر المصمك ؛ فلما وصلوا إلى الغرفة التي اعتقدوا أنه نائم فيها دخلها الملك عبدالعزيز وإصبعه على زناد بندقيته ؛ لكنه فوجئ بوجود زوجة عجلان وأختها ، ولم يجده ؛ فأخبرته الزوجة أن زوجها نائم كعادته عند الحامية داخل المصمك ، وأنه لا يأتي إلى بيته إلا بعد طلوع الشمس .. وهنا استدعى أخاه محمداً ومن معه من المنزل المجاور ، ولما اكتملوا في البيت أكلوا تمراً مما كان معهم ، ثم ناموا قليلاً [1] .

ولما أُذِّن لصلاة الفجر أدوها ، وجلسوا يفكرون في الطرق المناسبة للقضاء على عجلان .

كان الملك عبدالعزيز يرى أن يبقوا في بيت عجلان حتى يأتي إليه فيقضوا عليه .. وبعد شروق الشمس بقليل رأى الجميع بوابة القصر تفتح ، والخدم يخرجون منها ، والخيل تقاد عبرها إلى الساحة التي أمامها .. وأمام هذه المنظر طرأت للملك عبدالعزيز فكرة جديدة ، وهي أن ينقضوا على القصر

(١) مما يثر الانتباه أن يستطيع النوم من هو مقدم على مثل ما هم مقدمون عليه ؛ لكن هذا دليل على رباطة الجأش ، ومن المرجح أنهم لم يناموا جميعاً ؛ بل بقي منهم من لم يناموا حذراً ومراقبة [العثيمين] .

للسيطرة عليه مادامت بوابته مفتوحة ؛ خاصة أن القضاء على عجلان في بيته - إن تم - لا يعني أن الحامية لن تقاوم بعد ذلك ؛ ولهذا أمر مجموعة ممن معه أن يخرجوا من البيت ويقتحموا المصمك وهو في طليعتهم ، وفي أثناء خروجهم خرج عجلان من المصمك ، ومر بالخيل يستعرضها ، وأقفل الحراس البوابة تاركين فتحة وسطها .. ولما رأى رجال عجلان الملك عبدالعزيز ومن معه عادوا مسرعين إلى داخل المصمك ، أما هو فشهر سيفه في وجه الملك الذي بادره بطلقة من بندقيته ؛ لكنها لم تؤثر فيه تأثيراً قوياً ؛ فأسرع نحو القصر ؛ فأمسك الملك بإحدى رجليه وهو يحاول الدخول ؛ لكنه ركله بالأخرى ودخل ؛ فتبعه عبدالله بن جلوي إلى داخل القصر وقتله [١] .

واندفع بقية المهاجمين إلى الداخل ؛ ففتحوا البوابة .. وسارع إليهم من كانوا في بيت عجلان ، وراح الجميع يقاتلون رجال الحامية الذين كان عددهم حوالي ثمانين مقاتلاً ، وقد شلت المفاجأة حركة كثير منهم ؛ فقتل بعضهم ، واستسلم الباقون .. وما أن تم ذلك حتى نودي أن الحكم لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود [٢] ، وهكذا انتهت معركة الرياض ، وخطا ذلك القائد خطوته الأولى لاستعادة الحكم السعودي ، وتوحيد أجزاء البلاد المختلفة تحت راية الدولة السعودية الثالثة» [٣] .

---

(١) ومما حدث في ذلك الهجوم توجيه فهد بن جلوي شلفاه صوب عجلان ؛ لكنها أخطأته وضربت فتحة البوابة ولا يزال طرفها موجوداً في تلك الفتحة [العثيمين].

(٢) من أوفى المصادر تفصيلاً عن معركة الرياض ما ذكره الزركلي ، في كتابه شبه الجزيرة ٧٩/١ - ١٠٠ ، ومن كلامه ما هو منقول عن الملك عبدالعزيز نفسه [العثيمين] .. قال أبو عبدالرحمن : هو عن الملك عبدالعزيز نقلاً عن فؤاد حمزة ، ويوسف ياسين .

(٢) معارك الرياض ص ٤١ ـ ٥٣ .

وقال الدكتور العثيمين : «أدرك الشاب عبدالعزيز بن عبدالرحمن (بعد النجاح النسبي لتجربته الأولى في دخول الرياض، وتأمله ما يحيط بالمنطقة من ظروف) : أن الوقت قد حان [١] كي يتولى مسؤولية إعادة حكم أسرته للبلاد ، ومن هنا جاء إلحاحه الشديد على أبيه ومبارك بن صباح - فور عودته إلى الكويت - للسماح له بأن يبدأ بالخروج من هذه البلدة قائداً لغزوات، وقد وقف أبوه ضد إلحاحه في بداية الأمر [٢] .

ولعل ذلك الموقف عائد إلى أن هذا الكهل الذي خبر من مُرِّ التجارب أكثر مما خبر من حلوها كان يرى أن الظروف لم تكن حينذاك مناسبة للحركة ، وأن أي عمل عسكري يقوم به ابنه قد يؤدي إلى نتائج مؤلمة لذلك الابن وأسرته .. ومن المحتمل أن ما دار على أرض الصريف كان من العوامل التي كونت لديه ذلك الرأي .. على أن عبدالعزيز كان يتراء ى لذهنه ما دار في الرياض على يديه لا ما دار على أرض الصريف ولم يحضره [٣] ، أما مبارك بن صباح فكان أهم ما يشغله وجود ابن رشيد على مقربة من بلاده يتحين الفرص للانقضاض عليها؛ ولهذا لم يكن غريباً أن يقف موقف المؤيد والمشجع لقيام عبدالعزيز

(١) قال أبو عبدالرحمن : لم يحن الوقت عن مواتاة كل الظروف ، بل نفد الصبر على الغبن .

(٢) شبه الجزيرة للزركلي ١/٧٩ [العثيمين] .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : كل توقع لابد أن عبدالعزيز حسب حسابه ؛ ولكن العوامل الرئيسية : نفاد الصبر على الغبن ، والثقة بولاء أهل نجد إن استولى على الرياض ، والناس يراسلونه كتابه ومشافهة، ثم روح المغامرة ؛ لتغلب الموت على الحياة إن بقي ذل النفي ؛ ولهذا كان الاستيلاء على الرياض وليس معه غير ذلك العدد مغامرة .. ولكن الله علم حسن نيته ، فخدمته الظروف ، وثبط الله عزم ابن رشيد من المسارعة بجنده الكثيف .

بنشاط عسكري[1] ؛ أملاً في أن يدفع ذلك النشاطُ ابنَ رشيد إلى صرف شيئ من جهده واهتمامه لملاحقته، وهذا مما يخفف الضغط على الكويت إن لم يزله كلية.

وفي النصف الأول من عام ١٣١٩هـ نجح تصميم الملك عبدالعزيز وتأييد الشيخ مبارك بن صباح لذلك التصميم في إقناع الإمام عبدالرحمن للموافقة على خروج ابنه من الكويت غازياً ، وبعد أن تهيأ لهذا الابن ما تهيأ من ركائب وأسلحة ومؤن (كان للشيخ مبارك اليد الطولى في تأمينها) خرج من هناك، ومعه عدد من أقربائه ومؤيديه يرجح أنهم لا يزيدون على الأربعين إلا قليلاً[2].

ولم يرد الملك عبدالعزيز أن يتوجه فور (خروجه من الكويت إلى الرياض مباشرة ؛ بل توجه إلى مضارب البادية خاصة قبيلة العجمان في جهات الأحساء)، ولعل ذلك عائد إلى اعتقاده أن أنباء خروجه من الكويت ستصل بسرعة إلى الأمير عبدالعزيز بن رشيد ، وأن هذا الأخير سيأخذ جميع الاحتياطات لئلا تقع الرياض في يد خصمه الجديد ؛ ففضل أن يكون تحركه في البداية بعيداً عن هذه البلدة تمويهاً وحذراً ، وقد انضمت إليه فئات من قبيلة العجمان ، كما انضم إليه عدد لا بأس به من قبائل أخرى مثل سبيع والسهول وآل مرة ، حتى تجاوز من التفوا حول رايته ألف مقاتل [3] .. وبدأ يغير على

---

(١) تاريخ الريحاني ص ١٢١ ، وتاريخ ابن هذلول ص ٥٨ [العثيمين] .. قال أبو عبدالرحمن : مضى القول في تعليل ذلك .

(٢) هناك من يقول : إن عددهم كان يقرب من ستين رجلاً ، ولعل الذين خرجوا من الكويت كانوا كما ذكر في المتن أعلاه ؛ فانضم إليهم قبل دخول الرياض عدد قربهم من الستين ، وأسماء الجميع سترد ملحقة بهذا الجزء من الكتاب إن شاء الله [العثيمين [.. قال أبو عبدالرحمن : بل هم بضعة وستون، والذين دخلوا الرياض على دفعتين إلى وقت ذبح عجلان أربعون أو يزيدون .

(٣) الزركلي ١/ ٨٠ [العثيمين] .

جماعات من قبائل معينة ؛ فحالفه النصر ولفت إلى حركته الأنظار ، وهنا أدرك الأمير عبدالعزيز بن رشيد خطورة نشاطه ؛ فبذل جهوداً لدى العثمانيين الذين لم يكونوا يودون آل سعود أساساً ، والذين باتوا لا يودون مبارك بن صباح خاصة بعد أن ارتمى في أحضان بريطانيا ؛ ولذلك أسفرت تلك الجهود عن منع كل من يقف مع عبدالعزيز آل سعود من دخول بلدان الأحساء والقطيف والتزود بالأطعمة والمؤن منها ، ورأى المنضمون إليه من رجال القبائل ما سوف يتعرضون له من عقبات اقتصادية من جراء وقوفهم معه ؛ فآثروا التخلي عنه ، ومراعاة مصالحهم الخاصة [1] .. وهكذا لم يبق معه في نهاية الأمر إلا أولئك الذين رافقوه من الكويت وعدد قليل من غيرهم[2]؛ فتوجه بالجميع إلى منطقة يبرين الواقعة بين قطر والربع الخالي؛ ليرسم خططه المستقبلية بتؤدة وروية .

ولقد حاول الإمام عبدالرحمن بن فيصل (بعد أن رأى انفضاض القبائل من حول ابنه عبدالعزيز) أن يقنعه بالعودة إلى الكويت وعدم الاستمرار في محاولاته العسكرية ؛ لكن ما حل بعبدالعزيز لم يزده إلا طموحاً وتصميماً على مواصلة جهوده[3] .. على أنه رأى أن الأسلوب الذي اتبعه لم يجده نفعاً، وأنه لابد من عمل جريئ مفاجئ يحدث صدى بعيداً في المنطقة كلها .

وفي اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة ١٣١٩هـ انطلق عبدالعزيز بن عبدالرحمن بمن معه من يبرين صوب الرياض ، ولما تجاوز منتصف

(١) تاريخ الريحاني ص ١٢٢ ، وتاريخ ابن هذلول ص ٥٩ [العثيمين] .

(٢) أغلب المصادر تذكر أنه لم يبق معه إلا الذين خرجوا بصحبته من الكويت ، على أن الذكير (نسخة البسام ص ٢٤٦) يقول : إنه بقي معه غير أولئك حوالى عشرين رجلاً [العثيمين].. قال أبو عبدالرحمن : هذا تكرار لما في كتابه معارك الملك عبدالعزيز ، وقد سبق التعليق .

(٣) شبه الجزيرة للزركلي ٨٣/١ [العثيمين] .

الطريق بين المكانين أخبر رفاقه بهدفه ، وواصلوا السير الحثيث ، يكنون نهاراً ويدلجون ليلاً ، ولم ترخ ليلة الخامس من شوال سدولها إلا وهم في ضواحي الرياض ، ووضع عبدالعزيز خطة محكمة لدخولها، والاستيلاء عليها [١٧٩] ؛ فقسم رجاله إلى ثلاث مجموعات : واحدة ترابط عند الإبل حتى الصباح ؛ فإن حل الصباح ولم يأتها منه خبر فعلى أفرادها أن ينجوا بأنفسهم ، والثانية بقيادة أخيه محمد تكمن في إحدى مزارع البلدة حتى تأتيها أوامره، أما الثالثة فتدخل البلدة بقيادته [١٨٠] .

ولم يجد عبدالعزيز ومن معه صعوبة في الدخول إلى الرياض ؛ ذلك أن أسوارها كانت مهدمة [١٨٢]، وأن عدد الداخلين إليها كان قليلاً لا يحدث ضجة ولا يثير انتباهاً ؛ إذ لم يتجاوز السبعة [١٨٣].. واستطاع هؤلاء الطليعة أن يدخلوا بيتاً مجاوراً لبيت عامل ابن رشيد (عجلان بن محمد) ؛ فاستدعى الملك عبدالعزيز أخاه محمداً ومن معه ؛ فلما وصلوا إليه تسلق هو ورفاقه الستة إلى بيت عجلان ؛ لكنهم لم يجدوه فيه ؛ فقد أخبرتهم زوجته أنه نائم في قصر المصمك عند رجال الحامية الرشيدية ؛ وذلك لعدم اطمئنانه إلى الأوضاع المحيطة به ، وأنه يأتي من ذلك القصر إلى بيته بعد طلوع الشمس ،

---

(١٧٩) من المرجع أن عبدالعزيز (وهو الذي عرف عنه حبه للمشورة) قد استشار من كان يراه أهلاً للاستشارة من رفاقه .. على أن الرأي المتبع هو رأيه [العثيمين] .

(١٨٠) اريخ ابن هذلول ص ٦٠ ، وشبه الجزيرة للزركلي ١/ ٨٩ - ٩٠ [العثيمين] .

(١٨١) قال أبو عبدالرحمن : لم يأت التقسيم الأخير إلا بعد دخول حائط ابن حويان في الظهيرة .. وما سبق من نص الشيخ سعد ابن رويشد وشواهد أخرى يدل على قسم رابع خلف السور الشرقي الجنوبي.

(١٨٢) قال أبو عبدالرحمن : قفزوا من ثلمة على سوق الظهيرة .

(١٨٣) شبه الجزيرة للزركلي ١/ ٩٠ [العثيمين] .

ثم التحق بالملك عبدالعزيز أخوه محمد بن عبدالرحمن ورفاقه ، وانتظر الجميع خروج عجلان من المصمك في الصباح، ولما خرج انقض عليه عبدالعزيز ورفاقه ؛ فحاول العودة إلى داخل القصر ؛ لكنهم تمكنوا من مداهمة بوابة ذلك القصر والدخول إليه ، وقتل عجلان بيد عبدالله بن جلوي ، كما قتل عدد من أتباعه، واضطر باقي رجال الحامية إلى الاستسلام ، وما إن تم ذلك حتى نودي في البلدة أن الحكم لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود[١] .. وهكذا خطا هذا القائد خطوته الأولى لاستعادة الحكم السعودي في البلاد ، وتوحيد أجزائها المختلفة ، وبدأت الدولة السعودية الثالثة يوم الخامس من شوال سنة ١٣١٩هـ ، الخامس عشر من يناير عام ١٩٠٢م ، واندفع سكان الرياض يبايعون حاكمهم الجديد الذي كانت بلدتهم عاصمة لدولة قادة أسرته[٢] من قبل، وكانوا - وهم يضعون أيديهم في يده مبايعين - يأملون أن تعود به إلى هذه البلدة مكانتها السياسية ، وتنتعش حياتهم الاقتصادية .

وكانت العملية التي قام بها عبدالعزيز ورفاقه ، والتي أدت إلى استيلائه على مقاليد الأمور في الرياض : عملية جريئة ومحكمة ، وكان الموقف يتطلب تلك الجرأة وذلك الإحكام ؛ إذ بدونهما كان من غير الممكن تحقيق ما تحقق من نجاح، ولقد عبر المؤرخون المحليون المعاصرون لحدوثها (ابن عيسى ، والبسام ، والقاضي) عنها بكلمة سطا[٣]، وهي كلمة تعني العمل الجريء المفاجئ ؛

(١) شبه الجزيرة للزركلي من أحسن الكتب التي فصلت الكلام عن تلك الحادثة ١/٨٧ - ١٠٠ [العثيمين] .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : التعبير هاهنا قلق غير موصل، ولعل المراد: عاصمة لدولة قادتها من أسرته.

(٣) ابن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث ص ٢٠١ ، البسام ورقة ١٦٩ أ ، القاضي ص ٨ [العثيمين].

ولعلهم عبروا عنها بهذه الكلمة التي اعتاد المؤرخون النجديون في تلك الفترة وما قبلها أن يعبروا بها عن عمليات حدثت في البلدان النجدية كثيراً [١] ؛ لأنها تشبهها من حيث وقوع الحدث بحد ذاته بغض النظر عن ملابساته ونتائجه ، على أن أهمية تلك العملية تنبع من كونها بداية تحد من شاب في العشرينات من عمره لحاكم قوي لمنطقة واسعة ، وكونها اللبنة الأولى لما قام بعدها من بناء شامخ تمثل في توحد (أو توحيد) [٢] المناطق التي تكونت منها المملكة العربية السعودية المترامية الأطراف .

وكان الملك عبدالعزيز يدرك غاية الإدراك قوة الأمير عبدالعزيز ابن رشيد، ولم تغره مشاعر فتوته ، أو تلهه نشوة انتصاره عن أن يعد لكل خطر محتمل عدته ؛ فما إن استتب له الأمر في الرياض حتى شرع في إعادة بناء أسوارها المهدمة، ولم تمر خمسة أسابيع إلا وهذه البلدة محصنة كل التحصين[٣]، وفي الوقت نفسه لم يجعل إخبار أبيه والشيخ مبارك بن صباح بما تم له من نصر مجرد بشارة لهما ؛ بل قرن ذلك بطلبه نجدة بقيادة أخيه سعد ، وقد وصلت إليه هذه النجدة بالسرعة التي أمَّل أن تصل بها » [٤] .

وقال عبدالمنعم الغلامي : «لما بلغ الأمير عبدالعزيز السابعة عشرة من عمره صار كثير التفكير بملك آبائه وأجداده المضاع يتصرف به الأمير

(١) لم تذكر المصادر النجدية تفصيلات تلك العمليات ؛ لأنه لم يترتب عليها ما ترتب على ما حدث في الرياض من نتائج [العثيمين] .. قال أبو عبدالرحمن : يعني العمليات التي عبروا عنها بسطا .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : لا يصح إلا التعبير بالتوحيد الذي هو مصدر وَحُّد المشدد الحاء .. أما التوحد؛ فيكون ذاتياً، ويكون من خارج .. والجزيرة لم تتوحد بذاتها، بل وحدها الله على يد عبدالعزيز.

(٣) شبه الجزيرة للزركلي ١٢٣/١ ، وتاريخ ابن هذلول ص ٦٢ [أبو عبدالرحمن] .

(٤) تاريخ المملكة العربية السعودية ٤٩/٢ ـ ٥٥ .

عبدالعزيز الرشيد ، كما يريد ويحكم بالعباد كما يشاء .. وكثيراً ما كان يتداول مع والده المغفور له [1] الإمام عبدالرحمن بهذا الأمر ، ويطلب منه الشخوص لمحاربة ابن الرشيد .. ولما أحس الشيخ مبارك الصباح أمير الكيوت برغبة الوالد والولد إلى القتال مع آل الرشيد ، وكان ابن الصباح على خصام معهم : اتفق مع الإمام عبدالرحمن على قتالهم ؛ فجرد حملة سنة ١٣١٧هـ (١٩٠٠م) بقيادته بينما قاد الإمام عبدالرحمن حملة أخرى .. أما ولده الأمير عبدالعزيز ؛ فقد تحرك بقلائل من أتباعه العجمان وآل مرة والسهول وسبيع[2] ؛ فاجتاز المفاوز في أواسط نجد وقطع ما يقرب من ستمائة كيلو متر ، ونازل العشائر الموالية لابن الرشيد؛ فظفر بها ، وأعاد الكرة على فريق من قحطان في مكان يدعى عشيرة، وعلى فريق من مطير والدواسر، وأصاب مغنماً .. وفي تلك الأثناء وصلت الأنباء بأن قوات الشيخ مبارك الصباح ، وقوات أبيه المتحدة قد خسرت المعركة الفاصلة في واقعة الصريف عام ١٣١٨هـ - ١٩٠١م، فتركه أتباعه على أثر ذلك ورغبوا عنه في الراحة [3] ؛ فعاد إلى الكويت مع البعض من الأقارب والأتباع، ولكن عودته هذه لم تترك في نفسه سبيلاً إلى اليأس والقنوط ؛ فأخذ يفكر في الأمر ملياً ، ثم استأذن والده بأن يقوم بمغامرته الخطيرة في استرجاع الرياض ، ويخاطر بنفسه في سبيل العزة والكرامة وإعادة الملك السليب .

---

(١) الصواب شرعاً : غفر الله له .

(٢) تأريخه للصريف ، وتقسيمه الحملات إلى ثالث خطأ محض .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : كل هذا خلط بين أحداث عام ١٣١٨هـ و ١٣١٩هـ ، ولم يذكر حصار الملك عبدالعزيز الأول للرياض ، ومع هذا الخلط فهناك أخطاء مثل تعليله تفرق القبائل عن عبدالعزيز بسبب هزيمة الصريف !! .

وقد خرج من الكويت بأربعين شاباً من الشباب المفتولي السواعد ، الأقوياء البدن ، العامرة قلوبهم بالإيمان .. لا يرهبون المنايا ، ولا يخافون غير الله ، وكان من جملتهم أخوه الأمير محمد وابن عمه عبدالله بن جلوي .. سار بأولئك الأشاوس على غفلة من الناس [1]؛ فكانوا يسيرون ليلاً ويتنحون عن مسالك الطرق في النهار .. وقد أدركهم الشتاء بعد أن قطعوا الصحراء وهم يعانون آلام الجوع والعطش في ترحالهم دون أن تهين لهم عزيمة أو يعتورهم فتور حتى أصبحوا على مقربة من البلد المنشود الرياض ؛ فأختبأوا في وادٍ هناك مكتظ بأشجار النخيل، ثم مالبث أن أمر الأمير الشاب أتباعه أن يلبسوا أحسن ما عندهم من اللباس ، وكان يوم عيد ؛ فقال لهم : إما أن تكون هذه الثياب أكفاناً لكم ، وإما كانت لباس العيد الذي تلبسونه بين أهليكم .

ولما أقبل الظلام وجاء دور المغامرة الخطر رأى أن يبقى ثلاثون رجلاً من رجاله بما فيهم أخوه الأمير محمد في مكانهم الخفي وأن يدخل هو مع العشرة الآخرين .. وكان منهم الأمير عبدالله بن جلوي والأمير عبدالعزيز بن جلوي والأمير ناصر بن سعود ، ثم ودعهم قائلاً : لا حول ولا قوة إلا بالله .. لقد استودعنا الله حياتنا ، وإنا سندخل الرياض لنطرد عدونا منها أو نلاقي في تربتها منيتنا ؛ فإذا سمعتم معمعة القتال في المدينة أسرعوا إلينا .. أما إذا غربت شمس الغد ولم تسمعوا عنا شيئاً : فإنا نكون في عداد الموتى قد تولى الله نفوسنا برحمته ، أما أنتم فاطلبوا لأنفسكم النجاة .

(١) قال أبو عبدالرحمن : إنما كانت غفلة أتباع ابن رشيد عن دخول الملك عبدالعزيز الرياض .. أما خروجه من الكويت وإغاراته فلم يكن كل ذلك عن غفلة ، ولهذا كاتب ابن رشيد ابن ثاني والأتراك بشأن ابن سعود .

مشى الأمير عبدالعزيز وهو واثق بربه كل الثقة أن يأخذ بيده وينصره على أعدائه ويحقق له آماله وأمانيه مع رجاله العشر ، وهم مبالغون في التخفي نحو سور المدينة ؛ فتسلقوه ونزلوا إلى البلد ، ثم مشوا إلى بيت مجاور لقصر الحاكم عجلان (عامل ابن الرشيد على الرياض) ؛ فدخلوه وتواطأوا مع صاحبه ، وعرفوا منه أن الحاكم ينام في الحصن القلعة ، ويأتي قبل صلاة الصبح إلى قصره ؛ فتسلقوا الجدران من ذلك البيت المجاور وتسللوا إلى القصر ؛ فوجدوا عبداً من عبيد الحاكم عجلان فجردوه من السلاح وقيدوه وأودعوه مع من كان معه في القصر من الخدم والعيال في إحدى الغرف بحراسة بعضهم ، مهددين أياهم بالقتل إذا بدر منهم كلام أو صياح .. وقد قضوا ليلتهم بتلاوة آيات القرآن الحكيم حتى مطلع الفجر ، وفي ذلك الوقت انفتحت أبواب القلعة ، وخرج منها الحاكم عجلان في حاشية من الخدم والعبيد مدججين بالسلاح ، ولما توسطوا الطريق انقض عليهم الأمير عبدالعزيز برجاله كالصواعق وأخذوهم على غزة، وأعملوا فيهم النار والسيف، وكان الثلاثون رجلاً الذين بقوا بين أشجار النخيل يراقبون الحالة عن كثب فأدركوا أميرهم في الوقت المناسب، واشتركوا في القتال .. أما الحاكم عجلان فقد لاذ بالفرار من هذه المعركة يريد التحصن بالقلعة ، ولكن الأمير عبدالله بن جلوي أدركه بالقرب منها فقتله .

وعند ذلك استسلم حراس القلعة وصاح الأمير عبدالعزيز : إليَّ يا رجال الرياض ، أنا هنا عبدالعزيز [1] .. فأقبل عليه الناس من كل صوب فرحين

(١) قال أبو عبدالرحمن : كثيرة الدراسات الحديثة من هذا النوع التي تحتاج إلى غربلة ، ولا توثق معلوماتها ، وتخلط بين الأحداث ، ولا تمحص بالنقد .

مستبشرين، وهم يحمدون الله ويشكرونه على هذا النصر المبين، وكان ذلك في اليوم الثالث من شوال عام ١٣١٩هـ الموافق ١٥ كانون الثاني عام ١٩٠٢م ، وعمر الأمير عبدالعزيز إذ ذاك إحدى وعشرون سنة .

لقد جلبت هذه الحملة الغريبة في بابها انتباه الناس في الجزيرة العربية إلى الأمير الشاب عبدالعزيز ؛ فصاروا يتحدثون عنه ، ويسمرون لياليهم في ذكر شجاعته وجرأته وبطولته .. إضافة إلى أنها كانت فاتحة غزوات موفقة، وحروب منظمة تنظيم قائد فني خبير ، أدهش الناس في الجزيرة العربية وخارجها » [١] .

قال أبو عبدالرحمن : هذا النص نموذج لكثير من الكتابات الحديثة المعاصرة ذات الأسلوب الصحفي، وذات العاطفة أو المجاملة بدون توثيق ولا تمحيص .

وقال محمد جلال كشك : «توترت العلاقات بين تركيا وابن صباح .. وبتحريض الألمان ، أو ببعد نظر السلطان عبدالحميد : كانت اسطمبول مصممة على منع ابن صباح من الفوز بمؤامراته مع الإنجليز ؛ لأنها اعتبرت ذلك بداية ضياع الخليج كله وتهديد وضعها في العراق ، ولم يكن لتركيا فرصة للنيل منه بحراً ؛ حيث المدمرات البريطانية ؛ فاستعانت بابن رشيد سيد البر وسيد نجد وأمير عربانها الذي كان بدوره على علاقة سيئة بابن صباح من ناحية ؛ لطموحاتهما التي اصطدمت عند حدود الكويت .. ومن ناحية ؛ لاعتداء عرب الكويت على قافلة لتجار شمر .. ويزعم مؤرخ الكويت) : أن

(١) الملك الراشد ص ٢٢ - ٢٤ .

محمد الرشيد أوصى ابنه عبدالعزيز وهو على فراش الموت (١٣١٥ - ١٨٩٧ - ١٨٩٨) بالتيقظ من مبارك والحذر منه، كما كان حريصاً على كسب ود تركيا التي لها قوة في القصيم وفي الأحساء، وأيضاً فإن الكويت غنيمة سهلة ومغرية .

واستعد ابن رشيد للحملة التأديبية على ابن صباح ، وهنا ـ كما قلنا ـ تذكر ابن صباح أن سادة نجد الأصليين يعيشون في بلاده كلاجئين ؛ ذلك أنه بعد استيلاء ابن رشيد على الرياض وطرد آل سعود : أرسل عبدالرحمن الفيصل والد عبدالعزيز نساءه وأولاده إلى البحرين ، وطلب اللجوء إلى الكويت ؛ فرُفض طلبه ، فتوجه إلى قطر .. وقال الريحاني : إنه بعد فشل المباحثات بين الإمام عبدالرحمن ونائب متصرف الحسا اللبناني المسيحي زاخور عازار : رفض شيخ الكويت محمد الصباح السماح لهم بدخول الكويت كلاجئين؛ فعاشوا في البادية مع العجمان ثم قطر .. إلى أن تم الاتفاق مع حافظ باشا متصرف الحسا الذي لم ينسَ أن عبدالرحمن [١] هو الذي استدعاهم باسم أخيه عبدالله بن فيصل إلى الحسا ؛ فوافق الترك على صرف مبلغ ستين ليرة ذهب وحق الإقامة في أية منطقة خاضعة لنفوذهم ؛ فاختار الكويت ، وقبل ابن صباح إذ ذاك أن يتوطنوا في بلاده [٢] .

(١) قال أبو عبدالرحمن : لايد لعبدالرحمن في ذلك ، وإنما أرسله أخوه سعود للتفاوض ؛ فجعلوه رهينة وحبسوه .

(٢) قال تويتشل في تعداد المشاكل التي واجهت عبدالعزيز في مطلع حياته السياسية : امتلأ قلب مبارك عليه غيرة وحسداً .. وقال مؤلف العربية تتوحد : إن ابن سعود تبين أنه لا يمكن الثقة كثيراً بالشيخ مبارك الذي عرف عنه غيرته من صعود نجم ابن سعود المفاجئ والسريع [كوشك] .

فلا فضل لابن صباح - وقد سبق منه الرفض - في لجوء آل سعود لبلاده.. أما في المرة الثانية (١) ؛ فكان الأمر من الأتراك ، ولم يكن يملك عصيان أوامر الدولة وقتها (١٨٩١ - ١٣٠٩) ؛ فتحدي الدولة لم يبدأ إلا في عهد مبارك، وحتى إذا كان هناك فضل لمحمد الصباح كما يصر الكويتيون : فإن آخر من يحق له ميراث هذا الفضل والمن به هو قاتله مبارك الكبير ؛ فكل القوانين تحرم القاتل من ميراث قتيله !! .

على أية حال لم تكن في نية مبارك ولا خطر بباله عودة آل سعود لحكم نجد ؛ بل استعان بهم ضمن الحشد العام الذي جمعه لضرب ابن رشيد وإزعاجه، وكان مستعداً للتضحية بآل سعود في أية لحظة إذا ما اتفق مع ابن رشيد كما حدث ومنع (٢) الإمام عبدالرحمن من دخول الكويت في انتظار مفاوضاته مع ابن رشيد ، وكان الإمام قد بادر بشن غارات على حلفاء ابن رشيد (٣) الذي

(١) قال أبو عبدالرحمن : لا أدري أية مرة ثانية يعني .. إلا إن كان احتسب الرفض هو المرة الأولى ، واعتبر اللجوء مرة ثانية .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : أسلوب العرب الفصيح أن يقول : «إذ منع» .

(٣) ربما استند عطار لهذا القول ؛ ليزعم أن الإنجليز كانوا يرون إسقاط آل صباح عن كرسي الحكم في الكويت أضمن للاستقرار والسلام ، وأشير من قبل البريطانيين إلى ترشيح ابن سعود لحكم الكويت غير مرة ، وعرض حكم الكويت على أصدق أصدقائها الشيخ خزعل فلم يوافق .
والعطار اعتاد ألا يعطي مراجع لمزاعم في مثل حجم هذا الزعم ، ونحن بدورنا لم نجد أي سند لمثل هذه التخيلات ؛ فالشيخ سالم هو الوحيد من أولاد صباح الذي شك فيه الإنجليز ، ومع ذلك لم يفكروا في خلعه ؛ فمن أين جاء ت رواية خلع كل آل صباح ؟ .. وفي وثائق ١٩١٣ البريطانية إشارة تقول : إن بريطانيا لا ترى أن يتخلى الشيخ مبارك عن الولاية التي يديرها بحزم ، أما أن عطى الكويت لابن سعود ؛ فهذا ما لم يخطر ببال [كشك] .. وقال كشك أيضاً : «أشرنا إلى قول الزركلي : لو تم لابن صباح الصلح مع ابن رشيد لجعل من عبدالرحمن وابنه عبدالعزيز كبش الفداء» .

قرر رفض عروض مبارك .. استمر في الحرب ، وأصابت مبارك نوبة المبالغة في تقدير الذات (وهو مرض جاء الكويت مع الحماية) ، وسيستفحل بالنفط ؛ فخرج يغزو ، وقد جمع - كما قال فيلبي - أكبر جمع تمكن من حشده في حياته، أو كما قال مؤرخ الكويت : ضم كثيراً من العربان كمطير والعوازم والعجمان وعريب دار ، والمنتفك والمرة وبني هاجر، وقلة من الظفير ونحو ثمانمائة مقاتل من أهل الكويت [1] .

وكانت الخطة أن يشغل ابن رشيد بعمليات داخل مملكته ؛ لكي يتفرغ مبارك لضربه الضربة القاصمة في ميدان القتال .. أما العمليات الفرعية ؛ فهي احتلال آل سليم عنيزة ، وآل مهنا بريدة ، وعبدالعزيز آل سعود الرياض ، وقد نجح الجميع تقريباً في تأدية مهمتهم ؛ فدخل آل سليم عنيزة وآل مهنا بريدة ، ووصل عبدالعزيز إلى الرياض ؛ ليقابل بمقاومة شديدة تبدو كظاهرة غريبة أو غير لائقة ؛ فها هو ابن سعود يعود لعاصمته وعاصمة آبائه ؛ فما بالها لا تفتح له ذراعيها ؟ .. هل ابن الرشيد أو عجلان أحب إليها من ابن سعود ؟ .

كان ابن سعود في أيام ملكه ، وعندما يسرف أهل الرياض في مطالبهم يصرخ فيهم : «كسرتم أصبعي يا أهل الرياض في قتالكم ؛ فلا منة لكم علي» مشيراً إلى مقاومتهم العنيفة في تلك الغزوة .. ويقول فيلبي : «إن عبدالعزيز اقتحم فعلاً أسوار الرياض ، ولكن أهلها التفوا حول أميرهم [2] ، وقاتلوا قتال

(١) كانت المعركة في ذي القعدة ١٣١٨هـ (مارس ١٩٠١م [كشك] .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : كان ذلك في القصر ، وأكثرهم لا يملك من أمره شيئاً ؛ ولهذا عاقبهم ابن رشيد بسالم السبهان فيما بعد .

المستميت ؛ حتى كسر أصبع عبدالعزيز»، وكان وجوه المدينة في مقدمة المقاتلين ضد عبدالعزيز ؛ فقد قاتل الشيخ محمد [1] بن عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ ببطولة وبسالة جعلت عجلان يهديه فرساً بعد انتهاء المعركة وجرح الشيخ محمد في يده، كما أصيب أيضاً عبدالرحمن [2] بن عبداللطيف آل الشيخ بجرح في رقبتــه من قبل جنود عبدالعزيز آل سعود وهو يقاتل ضدهم ليصدهم عن غـزو المدينة .. كذلك كان الشيـخ عبدالملك [3] بن عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ على رأس أهل الريـاض فـي جيش ابن رشيد في معركة الصريف ضد ابن صباح .

وهـذه المقاومة الشديـدة من أهـل الريـاض جعلت عبدالعزيز عاجزاً عـن الاستيلاء عليها أربعين يوماً ، وإن كان لم يعـدم انصاراً داخلها مثل ابن هدهود الذي حاول أن يحفر نفقاً ينسف به حصن سرية ابن رشيد ، وقد عاقبه سالم السبهان بقطـع يـده [4] .. وجاء رسول والـده يبلغه خبر الهزيمة العامة ؛ فانسحب من تحت أسوار الرياض .

وتفسير مقـاومـة أهل الرياض بسيط جداً ؛ فما كانت الرياض وشيوخ

(١) قال أبو عبدالرحمـن : لم يولـد الشيـخ محمـد بعد ، وإنما الذي قاتـل عبدالله بن عبداللطيـف وهـو في القصر مجبر ، وفي رقبتـه بيعـة خلعها بعد الصـريف .. وكان فعلـه عن حكمـه ؛ فإنه كان يصيح بعبدالعزيز : ارجع ماهيب لك .. تُفهم بأن الأمر ليس لك ، ويفهمها عبدالعزيز بأن هذا ليس هو الوقت المناسب .

(٢) قال أبـو عبدالرحمن : هـو عبدالرحمن بـن عبداللطيــف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيــخ [١٢٨٨ - ١٣٦٨هـ] رحمهم الله ، وصاحب عبدالعزيز في غزواته .

(٣) قتل رحمه الله في جند الملك عبدالعزيز في البكيرية سنة ١٣٢٢هـ .

(٤) عن فهد المارق [كشك] .

الوهابية ليستسلموا لذلك القادم من قبل ابن صباح (لا وطنياً ، ولا قبلياً ، ولا دينياً) .. كان من الممكن أن تفتح الرياض باسم ابن صباح أو بتجريده من حملة ابن صباح ؛ فلم يكن ابن سعود أمام الرياض عام ١٩٠١م - ١٣١٩هـ أكثر من طليعة من طلائع جيش الكويت الذي يقوده ابن صباح [١] .

وقدم ابن صباح أكبر خدمة في حياته لابن سعود ؛ وذلك بأن هُزم أمام ابن رشيد هزيمة ساحقة ؛ فاضطر ابن سعود للانسحاب من الرياض .. ولو انتصر ابن صباح لتفتحت شهيته للتوسع على حساب ملك آل رشيد ، وحقوق آل سعود التاريخية ، ولكان قد وجد دعماً من بريطانيا ؛ حيث كل توسع في ملك ابن صباح يضاف لأملاكها ومناطق نفوذها ، ومن ثم تتغير المعادلة : فإما أن تطوى نهائياً صفحة آل سعود أمام هذا المغتصب الجديد ، وإما أن يكون عليهم مقاتلة بريطانيا هي ورجلها المحدود الأخلاقيات بدلاً من محاربة القوة الآفنة تركيا .. وابن رشيد المحدود القدرات .. ومن هنا كانت هزيمة ابن صباح في معركة الصريف إخراجاً نهائياً له من عملية الصراع على مستقبل نجد ، وهذا ما فهمه الإنجليز ؛ فاستمروا يحذرونه من أي استجابة لعاطفة الثأر الطبيعية عند أي شهم أو بدوي بالتوريط في صراع آل سعود وآل رشيد ، ولو انتصر ابن صباح ، ودخل عبدالعزيز الرياض : لاستحال على التاريخ إلا أن يسجل فتح الكويت للرياض ، وهو ما لا يجوز عقلاً ولا موقفاً .. من هنا كما قلنا : كان استبسال أهل المدينة في مقاومته كممثل لابن صباح ، وفتحها ذراعيها له

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : وهذا والله تعليل وجيه مع عوامل أخرى سلفت ؛ ولعل هذا هو معنى قول الشيخ عبدالله - كما حدثني عبدالعزيز بن مرشد رحمه الله - : ارجع يا عبدالعزيز : ما هيب لك .

عندما جاء متسللاً مع حفنة من الرجال .. ولكن كابن [١] سعود القائد الشرعي للرياض [٢] .

لنترك ابن سعود يعود فاشلاً من تحت أسوار الرياض في أعظم نصر سجله في كفاحه الطويل .. هذا الفشل الذي أنقذ التاريخ السعودي من كارثة الانتساب لغزوة ابن صباح .. نتركه يفكر في حملته المستقلة ، ونسمع أنباء هزيمة ابن صباح من أحلى وأمتع مصدر يمكن أن يرويها .. ألا وهو مؤرخ الكويت الذي يمكن تلخيص عرضه كالآتي : استمر ابن صباح ينتصر حتى هزم الهزيمة الساحقة ، ولكن بتفاصيل [٣] أمتع ، وأكثر دلالة على ما يتمتع به الكويتيون من روح الفكاهة .. قال : «أما ابن رشيد فقد ذعر من مسير مبارك ذعراً أطار لبه ، وأعدمه رشده ، وود أن لا يلتقي به ولا يشتبك وإياه في قتال !! .. ولكن مباركاً كان يطارده في رؤوس الجبال ، وبطون الأودية ، ويسأل عنه السهل والوعر ، وقد صمم على أن لا يتركه ولو اعتصم بأعظم معتصم ؛ إذ ذاك علم ابن رشيد أنه لا مندوحة له من النزال ، ولا مفر له من القتال ؛ فاستسلم للقضاء ، ونزل الميدان مكرهاً ، وهناك بين الصريف والطرفيه ، وقعت تلك الحادثة المشهورة في تاريخ الكويت .. هناك التحم

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : الصواب «لأنه ابن سعود» ؛ لأن المراد حقيقة الاسم لا التشبيه المقارب .

(٢) قيل : إن أهل المدينة مع الغالب ، كما قيل إنهم خشوا بطش عجلان .. ولكني لا أرى هذا الرأي ، فالبطش في المرة الثانية كان احتماله أكبر ؛ لأنه في المرة الأولى كان الزحف عاما ، وقد استسلمت عنيزة وبريدة عن قناعة بأن ابن رشيد سيهزم .. ولا أظن أن رجالاً مثل آل الشيخ يمكن أن يقال فيهم: «وهم مع من غلب» ! .. ولكن سمعة ابن صباح الوطنية والدينية كانت تجعل مقاومة حملته وكل من ينتسب له فرضاً واجباً [كشك].. قال أبو عبدالرحمن: وهذا استدلال لتعليه السابق هو عين الصواب.

(٣) قال أبو عبدالرحمن : في الأصل : بالتفاصيل .

الجيشان ، وتقابل الفريقان ، واستمر القتال من قبل الظهر إلى قبيل العصر .. وقد تقهقر ابن رشيد مرتين من مركزه ، ولكنه في كل منهما كان يتمكن من التقدم إلى الإمام ، وقد قدم أمام جيشه صفوفاً من الإبل جنة لتقيه النبال ؛ فكانت كالهشيم المحتضر .. وأخيراً بعد قتال عنيف وعراك شديد ذهبت فيه أرواح لا تحصى ، وزهقت نفوس غير قليلة : تم الانتصار لابن رشيد على خصمه ، وشرب كأس العز قبله» .

وكانت هزيمة ساحقة طارد فيها جيش ابن رشيد الكويتيين الذين اختبأوا في الكهوف وذبحوهم لا فرق بين أبيض اللون ولا أسود ؛ فلم يفلت منهم إلا النفر القليل ؛ فكانوا يخرجونهم من المساجد ، والكهوف ، والمدن والقرى ، ويذبحونهم أمام إخوانهم ذبح الشياه الواحد تلو الآخر .

ويتعجب ابن رشيد المؤلف من فعل عبدالعزيز بن رشيد المقاتل ؛ لأنه يعلم أن أهل الكويت مكرهون .

ووصل مبارك إلى الكويت وليس معه إلا اثنان من خدامه ، واستدعيت البوارج ؛ بناء على معاهدة الحماية وليس العكس كما يقول الريحاني ، وجاء مركب حربي بريطاني ، ورسى في مياه الكويت عشرين يوماً ، ونزل جنود صاحب الجلالة ببشرتهم البيضاء وعيونهم الزرقاء ؛ فاشتركوا في حفر خندق حول مدينة الكويت لحمايتها وحماية مبارك ؛ مما جعل الدولة العثمانية تشك في وجود معاهدة حماية ؟! .. والله !! .

وتحرك الأسطول البريطاني على طول الشاطئ على مرأى من البدو الذين جاؤوا مع ابن رشيد يغزون الكويت بعد هزيمة الصريف الفادحة ، وأنزل الربان بعض المدافع الرشاشة إلى البر ومعها ضباط ، علموا الكويتيين استخدامها ..

ثم خطر في بال ذلك الربان الذكي أن يرهب العربان بالأسهم النارية ؛ فأرسلها ليلاً في الفضاء ، وكان لها التأثير المطلوب ؛ فقيل : إن ابن رشيد ورجاله لاذوا بالفرار عندما رأوا النيران تشتعل في كبد السماء .

ومع أن القدر جعل ابن سعود يرتد عن أسوار الرياض في حملة ابن صباح هذه ؛ ليعود هو بحملة سعودية خالصة .. إلا أن مؤرخ الكويت يصر على أن يجعل فتح الرياض في العام التالي جزءاً من خطة كويتية ، وأن مباركاً حض ابن سعود على امتلاك الرياض والاستيلاء عليها ، أما سائر المراجع الأخرى فتؤكد أن مباركاً نفض يده تماماً ، وكان فعلاً بحاجة إلى فترة استجمام بعد الهزيمة الساحقة .. بينما استمر عبدالعزيز في الإلحاح والإصرار على الخروج .. ويقول مؤلف كتاب توحيد الجزيرة : إن عبدالعزيز أخفى نيته في غزو الرياض عن ابن صباح .. وإلا لما قبل ابن صباح مساعدته ؛ بل قال له: إنه خارج في غزو عادي غارة بدوية ؛ ولذلك أعطاه أربعين جملاً هرماً أنهكها المرض من نفايات مراعي ابن صباح .. ونقل عن عبدالعزيز : أن مركز آل سعود في الكويت تدهور بعد معركة الصريف إلى الحضيض ، ولم يكن ابن صباح مستعداً للقيام بأية مغامرات عسكرية جديدة ولو أن عبدالعزيز وأباه ظلا يقيمان في الكويت .. إلا أن مكانتهما عند ابن صباح كانت في هبوط ، وقال عبدالعزيز: إنه طوال إقامته في الكويت كان يشعر بأنه ثقيل على الكويتيين، ولكن هذا الإحساس زاد بعد معركة الصريف ، واستشهد على ذلك بأن ابن صباح لم يعد يجلسهما في صدر المجلس بجانبه كما كانت عادته من قبل .

وهكذا كانت حملة الأربعين رجلاً حملة سعودية صرفة ، أو مغامرة عزيزية ؛ فمبارك من ناحية ما كان ليفكر في غزو الرياض بأربعين رجلاً وهو

الذي قبل شهور فر بثيابه من ابن رشيد - ثيابه الخفيفة - في هزيمة لم ينسها الكويتيون إلا بهزيمة الجهرا على يد الدويش .. وعبدالرحمن والد عبدالعزيز نهاه ، ثم بعث له رسولاً بعدما قارب الرياض يأمره بالعودة ؛ فهو إجراء يتحمل مسؤوليته ونتائجه عبدالعزيز وحده .. وكان من الطبيعي أن تستأثر مغامرة عبدالعزيز والأربعين فارساً بخيال المؤلفين والمؤرخين ؛ فتنال الجانب الأكبر من تعليقاتهم ، وبقدر مواهبهم في الإنشاء لوصف ليلة المصمك .. وقد خص بعضهم عجلان المسكين بالحقد والغضب الشديد ، وهو ما لم يُكِنُّه أي فرد من الرجال الأربعين الذي فتحوا المدينة ؛ فعجلان لم يكن سوى مجرد حجر يعترض مسيرة التاريخ ؛ فلزم إزالته أو إماطته عن الطريق بلا حقد ولا شماتة تبرر القول بعد خمسين سنة : وجعلاه كومة من اللحم يتهافت عليها الذباب .

مسكين عجلان ، بذل كل جهد ممكن ليفلت من المجد والخلود ؛ فأبى حظه السعيد إلا أن يقتل، وبذلك كتب له الخلود وحفر اسمه في التاريخ [1] .

وصل عبدالعزيز والأربعين متطوعاً الذين جمعهم من السعوديين إلى الرياض في التاسعة من مساء يوم ١٥ يناير ١٩٠٢م (شوال ١٣٢٠هـ) ، والروايات المتعددة عن العشرين ساعة التالية تجعلنا نعيش أحداث فيلم مكسيكي لم يحلم مخرج بإنتاجه ؛ بل إن وقائعه يستحيل تصديقها دون الإلمام بالخلفية [2] البدوية ، والتاريخية ، والحضارية .

فما أن فتح باب جويسر بائع البقر (الذي كانت مهنته ضرورية ليستكمل

(١) قال أبو عبدالرحمن : إبليس وفرعون خالدو الذكر ، وإنما العبرة بماهية الذكر .. وعجلان رحمه الله أذاق أهل الرياض ذلاً وهواناً .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : هكذا في الأصل ، ولعل الصواب : الخلفية .

جو الكاوبوى [١] حتى صاحت النساء .. عمنا عبدالعزيز .. وكأنه عائد من الحج [٢] ؛ فقد سبق لهن العمل في بيت آل سعود ، وقد عرفن على الفور أنهن يعشن فصلاً جديداً من قصة الصراع على السلطة ؛ فلم تأخذهن الدهشة ، ولا صدر عنهن احتجاج ؛ لأن الصراع على السلطة أمر مسلم به ومقبول في شريعة الصحراء ، وسعي صاحب الحق الشرعي لاسترداد حقه من السلطان المغتصِب سلوك مشروع .. بل واجب محتوم يلام من يقصر فيه [٣] أو يتنازل عنه ؛ ولذلك لا يصعب فهم سلوك النساء في منزل راعي البقر ، ولا حتى في منزل عجلان نفسه ؛ فقد كان ظهور ابن سعود متوقعاً محتوماً [٤] .. خاصة بعد غزوة العام الماضي .

ظهر عبدالعزيز عند فراش زوجة عجلان وشقيقتها تدفعان بتعانقهما تحت غطاء واحد برد يناير الموجع في الرياض - قبل دخول أجهزة التكييف - وتتناسيان وحشة الحياة التي تفرض على الرجال النوم في الحصن ، والبعد عن البيت إلا عندما يطرد ضوء الصباح أشباح المغامرين وطلاب الثأر .. وما أن أفاقت المرأتان حتى دخلنا في حوار مع عبدالعزيز وكأنهما على موعد معه .

طرق عبدالعزيز باب جويسر راعي البقر، ورفضت النسوة فتح الباب؛ لأن

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : تهكمه هاهنا ، وبقية سياقه إنكار منه لكل جزئيات الحدث الذي وقع بلا مراء دون أن يملك التصور التاريخ البديل بنقل موثق أو محتمل !! .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : وَلِمَ لا ؟! .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : يارعاك الله ياكشك ؛ فهل جاء عبدالعزيز ومفهوم الدولة قائم كما هو في عهد عبدالعزيز الأول ابن محمد مثلاً ؟!! .. إنما جاء عبدالعزيز لإعادة دولة التوحيد ، وتنمية القدرات الطبيعية والبشرية ؛ لبناء صرح حضاري .

(٤) قال أبو عبدالرحمن : وهم يحنون لأمجاد تاريخهم الجميل المجيد .

الوقت ليس وقت بيع أو شراء ؛ فهو زائر مريب، وإن كان ظنهن قد ذهب بعيداً، وبما يرضي غرور النساء .. ولكن عبدالعزيز يلح ويهدد بانتقام أمير البلد؛ فيفتحن الباب، وتعرف شخصية الطارق، وأنه يريد بقرة السلطة؛ فيذهب رعبهن، ويطمئن بالهن، ويصحن[1] - كما عرفنا - عمنا عبدالعزيز .. عمنا.

لا بأس عليكن .. ادخلن معنا أغراب .

هكذا لابد أن يتم المشهد حيث أدخلهن غرفة ، وأغلق الباب ؛ فجلسن هادئات ساكنات لم يسمع لهن صوت خلال الخمسين عاماً التالية .. أما راعي البقر فقد اختفى تماماً من التاريخ (وإن كان الزركلي التي [2] تعد روايته أحفل الروايات بالأسماء والتفاصيل .. قال : إن جويسر هرب واختبأ في ضلع البديعة ، ولم يره عبدالعزيز ، وأنبأنا فؤاد حمزة على لسان الملك أن جويسراً هرب ، ولم ينتبهوا لهروبه .. بل ظنوه محبوساً .. ويبدو أن جويسراً نفسه لم ينتبه إلى أنه هرب .. بل ظن نفسه محبوساً ؛ لأنه لم يظهر بعد ذلك ، ولا حاول أن ينبه أمير المدينة الذي فتح الباب للطارق في منتصف الليل خوفاً من عقابه، فكيف خاطر بعقوبته بعدما عرف أن الطارق جاء يطلب رأس الأمير؟.. وكان جويسر على رواية حمزة لا يزال حيا حتى عام ١٩٣٥م - ١٣٥٤هـ على الأقل ، ولكن ما من أحد كلف خاطره بمقابلته [3] .

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : في الأصل : ويصيحن .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : الوصف للسابق لا اللاحق ، فالصواب : الذي .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : أسلوب تشكيلي تهكمي متهالك .. وجويسر معروف لدى أهل الرياض ، ومعروف موقع بيته .. والرواية عن عبدالعزيز ، وال الشيخ ، والهزاني .. وعن نقل التواتر .. وهو هرب بين نار وغار : لا يريد أن يُمَسَّ ابن سعود بأذى فيبلغ عنه ، ولا يثق بانتصار ابن سعود والقلة معه ؛ فهرب ليكون أمام حجة : أنه سُطيَ عليه فهرب .. هكذا أعد الحجة لعجلان .

وعلى الطريق إلى بيت عجلان سيتسلق عبدالعزيز جدار بيت ثالث ؛ ليجد شخصين نائمين في فراش واحد ؛ لف الاثنين في فراشهما ، دون أن يعرفنا أحد من هما ولا ما هما[1] .. معذرة لا مكان لهما في الملحمة ، ومن البيت الثاني إلى الثالث (ويبدو وأنه كان هناك أزمة سراير) [2] ؛ فللمرة الثانية يجد المهاجمون شخصين متعانقين أيقظوهما فإذا بهما زوجة عجلان وأختها ، ولم تصدر صرخة واحدة لمنظر رجال مسلحين في غرفة النوم ، ولا حتى شهقة ؛ بل المرأة تقول وكأنها طفلة عادت من المدرسة الداخلية ، أو متفرج في برنامج جرب حظك : أنت عبدالعزيز ؟ .. صح [3] .

ومهما قيل عن علاقة المرأة بأسرة عبدالعزيز ، وطول قامته المميز ، وملامحه الملوكية ، إلا أنه يصعب على موظفة في مصلحة تحقيق الشخصية التعرف على شاب في الثانية والعشرين من عمره شاهراً سيفه من ملامح طفل غادر البلاد في العاشرة من عمره [4] .

الزركلي انفرد بايراد الاسم الثلاثي : عجلان محمد العجلان الحائلي من مولدي حائل ، وهي بيانات كافية لاستخراج جواز سفر أو بطاقة ركاب مرجع

---

(١) المرأتان في بيت عجلان ، وهما امرأته وشقيقتها ، والبيت الثاني بيت الشايقي ؛ فهو معروف .. وكشك خلط بين الأحداث ، وقدَّم وأخر .. ومع جودة كتابه تحليلاً وإفادة من مصادر التوثيق التي أتيحت له إلا أنه طارئ على الموضوع ، مسترسل بعنجهية صحفي مرموق .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : وهل كان أهل نجد يعرفون السرر ؟! .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : ياله من تهكم سامج !! .. وأي قدرة لهما أمام مسلحين في جوف الليل في بيت لو صرخوا فيه بأعلى صوت ما سمعهم أهل المصمك .. هذا لو ملكوا حرية الصراخ .. إلا أن معرفتهم لعبدالعزيز أدخل عليهم الأمان .

(٤) قال أبو عبدالرحمن : هب هذا صحيحاً فماذا يعملن ؟! .. وجواب هذا التشكيك الساذج : أنهن يعرفنه يافعاً ، ويعرفنه بالوصف سماعاً ، وتعداد أسماء رفاقه زيادة قرينة .

من الخطوط السعودية ، ولكنها لا تفيدنا في التعرف على شخصيته [١] كذلك عرفنا أن زوجة عجلان هي «لؤلؤة بنت ابن حماد» ونقل عن عبدالعزيز قوله : إن أباها وعمها كانا من خدامنا ، وأنها ما زالت تعيش إلى وقت تأليف الكتاب (١٩٥٠م - ١٣٦٩هـ) أو نشره (١٩٧٧م - ١٣٩٧هـ) لا أحد يدري[٢] .. أطال الله عمرها إن كانت حية ، ورحمها الله إن كانت قد لحقت بأبطال الملحمة .. يكفيها فخراً أنها استطاعت أن تتجنب فضول الصحفيين ، وإغراء الناشرين ؛ فلم تكتب مذكراتها عن ليلة المصمك ، ولا واجهت سؤالاً سخيفاً عن شعورها بعد مقتل عجلان الذي كان مصرعه أول إجراء ضروري لقيام المملكة العربية السعودية [٣] .

ونقل فؤاد حمزة على لسان الملك : إنه وكز الحرمة فنهضت ؛ فلما رأتني صرخت : من أنت ؟! .. فقلت : بس أنا عبدالعزيز .. وهذا أقرب وصف للمنطق والمعقول .. أما هي فكانت تعرفني وأبوها وعمها خدام لنا ، وهي من أهل الرياض .. قالت : ماذا تريد ؟ .. كان المفروض أن تقول وايش تبي أو ويش تريد[٤] .. قلت : أدور رجلك يا فاجرة .. يا اللي تاخدين شمر - أي

(١) قال أبو عبدالرحمن : ليطلب ذلك ممن عينوه أميراً .. وكيفي أن سالم السبهان - في رواية الهزاني - عينه أميراً للرياض ، وأن أهل العارض أصابهم غبن منهما .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : وماذا يضير ، وماذا يغير من الأحداث أن كان الملك عبدالعزيز يعرفها وكشك لا يعرفها ؟! .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : تهكم تشكيكي سخيف كالذي قبله .. ويقال له : هل في الرياض صحفيون يومها ، وهل كان العوام يتطلعون للمقابلات الصحفية لو كانت الصحافة قريبة منهم ؟! .

(٤) قال أبو عبدالرحمن :لا مشاحة في نقل المعنى بأي صيغة ، والله يقص علينا قول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من لغتهم بلغتنا .. وقد تكون قالت : وش تبي ، أو وش تدور ، أو من انت - بكسر الميم ، وهمزة مسهلة ممالة للكسر - .

تتزوجين رجلاً من شمر - .. قالت : أنا غير فاجرة .. أنا ما أخذت شمر إلا يوم تركتني .. أنت ويش جايبك .. فقلت : أنا جيت أدور رجلك لأقتله .. قالت : أما زوجي فلا ودي تقتله ، وأما ابن رشيد وشمر فودي تقتلهم جميعاً ، ولكن كيف تقدر على زوجي؟ .. زوجي محصن في القصر ومعه ثمانين رجال، ويمكن لو طلع عليك أخاف ما تقدرون تنجون بأرواحكم وتخرجوا من البلاد .. تكلمتُ عليها وسألتها عن وقت خروج زوجها من الحصن .. قالت : إنه ما يخرج إلا بعد ارتفاع الشمس بثلاثة أرماح .. أخذناها وصكينا عليها مع الخدم، ثم أحدثنا فتحة بيننا وبين الدار التي فيها أخي محمد ، ودخلوا علينا .

وتحول البيت إلى ديوانية ، وجرى إعداد القهوة والشاي وأكل البلح(١) .. ورواية الملك ، ورواية الزركلي عن مخطوطة خالد الفرج العتيدة متفقة على أنهم ناموا جميعاً في انتظار موعد خروج عجلان .. وإن كنت اقترح أن

---

(١) «وهنا خلاف في أكل البلح .. العطار قدم مشروعاً لسيناريو يصلح للبث في الإذاعة المدرسية في نجران في فسحة الظهر ، ولمن شاء الرجوع إليه (ص .٢٥ - صقر الجزيرة الجزء الأول) .. وينسب لعبدالعزيز : أنه وقف في غرفة عجلان ، وقال على طريقة عباس فارس : «كلوا أيها الأبطال ؟ .. لا تجبنوا في طلب حقكم المسلوب .. هذه صفائح التمر والدبس تناولوا منها ما تريدون : فإما أن يكون ذلك أول ما تطعمون في بلادكم تحت ظلال الحق والحرية ، وإما أن يكون آخر طعامنا في هذه الحياة التي تتجاهل أقدار الرجال أيها الأبطال !!» .. وسر هذه الخطبة الهزلية هو أن ضمير الشيخ عطار احتار في فتوى أكل بلح عجلان ..ولكن ابن سعود خفف عنا وعنه ، ففي رواية فؤاد حمزة على لسانه كان التمر مما حملوه معهم : «فلما اجتمعنا استقرينا وأكلنا من تمر معنا ، ونمنا قليلاً ثم صلينا الصبح وجلسنا نفكر ماذا نعمل» [كشك] .

قال أبو عبدالرحمن : العطار لا يعتد بزياداته ، وأكل التمر والقرصان .. إلخ متواتر مما معهم ، ومما أحضرته المملوكة زعيفرين .. وهل يريد منهم كشك أن يصوموا ، وهل كان أي محارب لا يستعد للحرب إلا بالصوم والجوع والهزال ؟! .

يتناوبوا النوم ؛ فرغم مرور ما يقرب من ثمانين سنة على الحادثة ، وثقتنا التي لا تقبل الشك في نجاة عبدالعزيز : إلا أن أعصابنا ما زالت لا تتحمل أن ينام عبدالعزيز وكل رجاله تحت رحمة أية مفاجأة.. حتى ولو كانت لؤلؤة وأختها[١] قد اختارتا معسكرهما؛ فهما آخر من يطمئن طالب سلطة للنوم في حراستهما[٢].

ولعل ما يعين على تفسير هذا السلوك - العجيب بمقاييسنا - لنساء ليلة المصمك : أن نعرف القناعة الاجتماعية في الصحراء ؛ فصحيح أن شخصية عبدالعزيز وأسرته لعبا دوراً أساسياً في هدوء النساء ، ولكن أيضاً الخلفية الحضارية .. الاستعداد لقبول نتيجة الصراع ؛ ولذلك يدهش الغريب مكاناً وزماناً من السهولة التي تنتقل بها زوجة الأمير أو القائد المنهزم في نفس الليلة إلى حريم القائد المنتصر، وتبيت في فراشه [٣]، ولا تسجل أحداث التاريخ إلا وقائع نادرة تكاد تعد على الأصابع عن غدر الزوجة الأسيرة بالرجل المنتصر ؛ فالمرأة كالأرض والسلطة بل والشعب (وحتى التاريخ).. كلها تمنح ولاء ها للمنتصر[٤].

على أية حال لم نجد في ملحمة عجلان رجلاً واحداً يتعاون مع المغيرين

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : النوم إغفاء ة يسيرة ، والضمير لكبار القوم من آل سعود ورفاقهم .. ولابد من حراس يتعاقبون النعاس .. لا سيما من وكل إليهم حراسة النساء .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : بل هما في حراسة الله ثم حراسة من وكل بهما من الخدم .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : قبح الله كشك من قال ذلك !؟ .. بل هن نساء وقعن في أيد أمينة جاء ت لأمر أسمى ، وثقتهن مكسب ، وليس في يدهن حول ولا طول .. إلا أن الأمان أطفأ مصابهن أن كان ضيفهن عبدالعزيز ورفاقه .

(٤) قال أبو عبدالرحمن : ومن قال لهذا الكشك : إنها غدرت .. بل هي فاقدة الحرية في حماية زوجها ، آمنه على عرضها أما رجل جاء لإصلاح البلاد والعباد . قال أبو عبدالرحمن : ولا أدري كيف احتضننا هذا الكتاب بكل هذه التجاوزات ؟! .

إلى أن يقتل عجلان .. ولكن أكثر من امرأة صاحت : عبدالعزيز[١] .. ثم انتظرت هادئة نهاية المعركة التي ستحدد من هو السيد الذي يمنح الولاء والحب .

وفي رواية الملك التي نشرها فؤاد حمزة : أن أحدهم تنكر في ثياب امرأة لكي يفتح الباب لعجلان عندما يأتي في زيارة الصباح المعتادة ، ولكنهم لم يطيقوا صبراً عندما رأوه ؛ فخرجوا إليه .

كما اهتم الزركلي اهتماماً كبيراً بنفي رواية كنث وليامز عن وجود جذع نخلة استعان به ابن سعود في تسلق حائط بيت عجلان [٢] ، واستند في نفيه إلى رواية الملك عن ركوب بعضنا فوق بعض ، وهذا ما يثبت عدم وجود الجذع كما أنه ينفيه [٣] .. مسكين الجذع لا مكان له في الملحمة .

وسنضرب صفحاً عن موعد خروج عجلان من الحصن ؛ فقد اختلف فيه الرواة .. الزركلي والريحاني وحافظ وخالد : قرروا أن زوجة عجلان عندما سئلت أفادت أنه : يخرج بعد طلوع الشمس .. أما قلب الجزيرة وصقر الجزيرة : فأفادا أنها قالت : قبل شروق الشمس ، ولو سئلت زوجة عجلان في اليوم التالي لما تذكرت ما قالت [٤] .

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : نعم ؛ لأنها تعرفه ، وقد عاشت تاريخ أسرته .. والرجال - على قلتهم - أصبحوا عزلاً ، ولم تبلغ الثقة بهم أن يسلحوا ليكونوا ضد عجلان ؟! .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : لم يركز الزركلي اهتمامه على نفي الجذع ؛ بل قال بكلمة فكرة أصولية ١/ ٩١ - موفقاً بين النقلين - : «وهذا لا يدل على وجود الجذع كما أنه لا ينفيه» .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : كلا لم يقل الزركلي ذلك .. إنما قال : «لا ينفيه» .. ولكن غرور الصحفي يجره إلى القراء ة السريعة ، والفهم السريع .

(٤) قال أبو عبدالرحمن : ليكن ذلك !! .. ولكن ليعلم هذا الكشك أن الأوقات المعتادة المتكررة ماضياً المرتقبة ناظراً لا تتحدد بالدقائق والثواني ؛ بل هناك حين زمني بين أمدين كله ظرف للانتظار ، وإنما يخضع لما هو أقل من الثواني ما أخضعه الله للناموس الكوني كدورة الشمس والقمر .

المهم أن عجلان خرج عندما فتح باب الحصن ، وفتح سجل التاريخ ، وتسابق الجميع لاحتلال مكان في أطول ملحمة عرفها القرن العشرين .. وكان الطريق إلى الخلود يمر عبر النجاح والفشل معاً ؛ فالحربة التي أخطأت عجلان واستقرت في باب الحصن لو أصابته : لما زاد حظها عن أن ينتزعها ابن جلوي ، ويحارب بها معاركه [1] الأخرى وتنسى تماماً ، أو قد يتركها في جسد عجلان وتدفن معه .. ولكن لأنها أخطأت .. دخلت التاريخ وظلت عشرات السنين تحتل مكاناً مرموقاً في برنامج زيارات السياح والصحفيين وممثلي شركات النفط [2] ومختلف القادمين إلى الرياض .. تستمع في تلذذ لقصة عجلان وابن جلوي ، والضربة الخاطئة التي كانت وسيلتها إلى المجد .

كذلك كانت كل المصادفات ضد عجلان إلا التاريخ والخلود ؛ فقد كانا له بالمرصاد .. أخطأته الحربة ؛ فأصابت باب الحصن ، ونفذت فيه ، وحاول ابن جلوي أن ينتزعها ليضربه مرة ثانية ؛ فتشبثت بباب المجد وانكسرت [3] ؛ وهكذا نجا عجلان من الحربة ؛ فتقدم التاريخ لنجدته ، وجعل ابن سعود يمسك به بقبضته التي اشتهرت بقوتها الخارقة ، حتى أن بعض معارفه كان يتجنب مصافحته بعدما جربوا قبضته في المصافحة .. ورغم ذلك استطاع عجلان العامي الذي بلا طموح .. استطاع ضرب ابن سعود في خاصرته حتى أغمى

(١) قال أبو عبدالرحمن : لغة البيان المهشمة في تغطرس الصحفيين المؤرخين (!!!) أن يقول : «في معاركه» .. ويعذر إن كان ذلك تطبيعاً .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : وأنفك راغم يا كشك !! .

(٣) لا عجب في هذا .. وإنما العجب من هذا العجب .. وكشك لم يغزو، ولم يحدث نفسه بالغزو !!.

عليه إغماء ة خاطفة [١] ولكنها كانت كافية ليمرق الثعلب من يده ، وينفذ من ثقب الحائط [٢] أو البوابة الصغيرة .. ولكن هيهات أن يفلت عجلان من المجد [٣] .. ولو مرق من الخوخة لأفلت من التاريخ ؛ فقد كانت الخطوة الثانية هي إغلاق باب الحصن ، واستصراخ الحرس والجند والأعوان ، وفرصة عجلان الوحيدة في الخلود ، هي أن يهزم ويقتل على يد ابن سعود ؛ فلو قتل هو ابن سعود أو انتصر عليه لطواه التاريخ كعشرات بل مئات من عمال نجد الذين لا يذكر أحد اسمهم ولا حتى أحفادهم .. وهكذا رغم [٤] كل ما بذله عجلان للإفلات من المجد ، لم يتحقق هدفه ، وحقاً يثاب المرء رغم أنفه .

كانت الرياض فعلاً على موعد من التاريخ ؛ فالأمير القادم ليس مجرد أمير سعودي من أمراء فترة التناحر عندما تخلى البيت عن الرسالة ، وتصارع أفراده على الملك ؛ فضاع الملك كما ضاعت الرسالة ؛ لأن هذا البيت بالذات لا يستقيم له ملك بلا رسالة ؛ لأن التاريخ لا يحب الخديعة [٥] ، وهذا البيت نال

---

(١) ما علاقة عدم الطموح بالقوة ؟ .. وهل في الدنيا أقوى من رفس الذبيح ؟! .. واكتمال جسم عبدالعزيز ، وقوته محل إجماع معاينة لا بمأثور الرواية .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : ثقب الحائط من كيس الكشك .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : ياليت الكشك قبل أن يودع أفاض علينا من بركات بلاغته ؛ فشرح لنا ذلك المجد !! .. وإنما المجد عنده الذكر في التاريخ ، وباقل ، وغراب قابيل وهابيل ، ووزغ نار إبراهيم ، وخل بالك من زوزو .. كل ذلك دخل في التاريخ إن كان المجد هو مجرد خلود أي ذكر !! .

(٤) قال أبو عبدالرحمن : تكرار الكشك لهذا التعبير دليل على أعجميته ، ولا يستقيم تركيب الكلام إلا برابط مثل على الرغم من ، وبرغم منه ، وبرغمه .

(٥) قال أبو عبدالرحمن : كلام حق جميل بلا ريب أذن الله بالتعبير عنه على لسان كشك على الرغم من ترهاته السابقة .

الملك باسم الرسالة ؛ فلا يجوز له أن يتخلى عن الرسالة ويستبقي الملك [١] .. وقد تساقط كل الأمراء الذين تخلوا عن الرسالة ، واكتفوا بالإمارة ، وانتهى بهم الحال إلى قبول الحماية ، والحكم بينهم من ابن رشيد عاملهم القديم ووارث ملكهم .. بل وصل بهم الأمر إلى قبول الدعم البريطاني، أو الحماية التركية[٢] متخلين بذلك عن جوهر الرسالة السعودية وهو التحرر من كل نفوذ أجنبي متنكرين لكل الدم الذي أريق خلال أكثر من قرن من أجل أن تكون جزيرة العرب للعرب وحدهم ؛ فضاعوا في التيه ٣٧ سنة تساقط فيها كل طلاب السلطة حتى خرجوا من الرياض [٣] ، وبقي شيخ واحد كان على ما يبدو لا يصلح ، أو غير مقتنع بجدوى السعي لاسترداد ملك خرج من أيديهم رغم أنه أبدى كفاءة - ملوكية - نافذة سواء في مواجهة ابن سبهان ، أو في ما أعقب

(١) قال أبو عبدالرحمن : هذا تعريف من الكشك - بل تشقٍّ - من بعض أفراد الأسرة بحائل .. وكشك كتب تاريخه بعامل الطمع المادي لا الرسالة المقدسة .. حولته الشعبية إلى ماركسي ، ثم حولته الرهبة والهياج الشعبي إلى ناصري ، ثم حوله الدولار إلى يميني .. ثم نكص على عقبيه قبيل موته غير مأسوف عليه .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : أما اللجوء السياسي فهو سنة تاريخة ، وحتمية كونية .. وأما الحماية التركية ففي رقعة عربية برابطة إسلامية تاريخية .. وأما الدعم البريطاني - إن كان يريد عبدالعزيز - فقد أخذ من بريطانيا ولم يعطها في فترة التحالف العثماني البريطاني ، وفترات اقتسام الحلفاء مما لم يخرج عنه من كانت لهم رقعة واحدة متحدة .. وقد أوجد عبدالعزيز الرقعة - بجهاد عسكري شجاع ، ومناورة سياسية ملهمة - في الوقت الذي يطالب فيه الآخرون تحرير بلادهم من الاستعمار !! .. وسياقه فيما بعد لا يدل على أنه يريد الملك عبدالعزيز ؛ فإن كان يُعرِّض بالإمام سعود بن فيصل فقد أفردت لترجمته كتاباً ضخماً بينت حججه وحيثياته أن بريطانيا أشد عداء للإمام سعود .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : وبقيت مملكة آل سعود للعرب بفضل الله ثم بفضل آل سعود وعقيدة السلف التي تبنوها .

ذلك من مفاوضات مع الترك والأهم من ذلك كله إدراكه أن فاتح الرياض هو الأحق بالملك، وأن تجديد الأسرة ، وفتح صفحة جديدة في مستقبلها يتطلب قيادة وجيلاً جديداً ؛ فتنحى في عظمة ووعي نادرين بين أمراء العرب (١) .

صاح المنادي : الملك لله ثم لابن سعود .

نفس الصيحة التي أطلقها ابن رشيد قبل نصف قرن ؛ فكوفئ عليها بالإمارة (٢) ، ولكنها اليوم تعني بداية زوال ملك ابن رشيد .

نفس الصيحة التي أطلقت منذ أكثر من نصف قرن باسم الرسالة لتنتهي بملك يذبل ويذوي : تعلن اليوم بداية ملك سيبعث الرسالة ، وهذا هو المعنى الذي عجز ابن رشيد عن فهمه عندما وصل إليه نبأ دخول ابن سعود الرياض ؛ فقال قولته المشهورة : أرنبة مجحرة وأهلها مقيمون .. أي أرنب دخل جحراً والصيادون ينتظرون خروجه(٣) ؛ فلا مهرب له وصحيح كانت تتجمع في عبدالعزيز كل الصفات المطلوبة لقائد ورجل تاريخ ، ولكنه بلا رسالة لم يكن أكثر من فتى دون الثالثة والعشرين من عمره في قرية لا قيمة لها اقتصادياً أو عسكرياً .. ولكن فاته أن عبدالعزيز بصفاته الشخصية عندما أصبح في الرياض عميداً للبيت السعودي تقمصته على الفور مسؤوليات والتزامات الرسالة (٢)؛ حتى وإن احتاج الأمر إلى عشر سنوات حتى تنضج الدعوة وتتخذ

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : يعني الإمام عبدالرحمن .. والابن سر أبيه .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : يعني الأمير عبدالله ابن رشيد مع الإمام فيصل ، ولذلك أكثر من نصف قرن .

(٣) قال أبو عبدالرحمن : عافاه الله على هذا الشرح .. وتوضيح الواضحات يخلق المشكلات !! .

(٤) تقول بعض الدراسات الحديثة : إن حملة ابن سعود هذه كانت بلا هدف ديني بل مجرد طلب ملك ، وقد يكون هذا صحيحاً ، ولكن عبدالعزيز سرعان ما اكتشف دوره الحقيقي [كشك] .. قال أبو عبدالرحمن : تكفل بجلاء ذلك كتابي «الملك عبدالعزيز وخصائص الدولة» .

صيغة تنظيمية ستغير الأوضاع في جزيرة العرب ، وستطرح من جديد فكرة الحل الإسلامي للجدل والمناقشة ما بقي من القرن .

لكن ابن رشيد كان ضعيفاً في المعادلات الدولية .. بعد به العهد عن عبيدالله وعبدالله ؛ فنسى زخم الوهابية، ولم يتعلم درس سلفه امرؤ القيس[١] الذي أراد أن يحكم شمراً بدعم خارجي ؛ فلم يحكم ، ولم يترك من أثر سياسي إلا شهادته على نفسه باستعداء قيصر على مواطنيه [٢]، ولذلك غفل عن الرياض وما جرى فيها ، واستمر يفاوض قيصره .. أي الأتراك يطلب دعمهم ضد ابن صباح للاستيلاء على الكويت ، وهي المرتبطة والمتمتعة بحماية قيصر الأكبر .. بينما هب أهالي الرياض يبنون السور للدفاع عن إمارة ابن سعود ، وقد جاءهم هذه المرة متحرراً من أي التزام خالصاً لهم ولدورهم التاريخي ؛ فأخلصوا له ومنحوه حبهم .

نترك عبدالعزيز في الرياض ، وقد بدأ الخطوة الأولى في مسيرة الثلاثين عاماً ، ونعود لابن صباح ؛ لنجد مؤرخ الكويت الخفيف الدم ، مستمراً في ادعاءاته ؛ فيزعم أن ابن صباح هو الذي أرسل لابن سعود التعليمات الخاصة

---

(١) قال أبو عبدالرحمن : الصواب : امرئ .

(٢) إشارة إلى قول امرؤ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما
نحاول ملكا أو نموت فنعذرا [كشك].

بتحصين سور الرياض بعد الاستيلاء عليها [١] ، ولكن خفة دم المؤرخ تجعله يضيف أن هذه التعليمات وصلت في رسالة كالألغاز والاحاجي ، ولم يفهمها حتى كاتبه الخاص (كاتب ابن صباح) إلا بعض ما جرى تأويله .. والمعروف أن ابن سعود شرع في تحصين السور فور انتهاء مقاومة حرس ابن عجلان ، ولم يكن بحاجة إلى وصول رسول من الكويت برسالة بالشفرة يعجز كمبيوتر الكويت ذاته عن حلها .. ولا ندري لماذا يحتاج ابن صباح لمثل هذه الشفرة المعقدة لإبلاغ رسالة شديدة البساطة : يا ولدي يا عبدالعزيز : حصن سور الرياض وإلا أخذوها منك تاني» [٢] .

قال أبو عبدالرحمن : أما الأربعون أو الستون فقد مضى سياقهم ، وكتب عنهم معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله ، والأستاذ عبدالرحمن بن سليمان الرويشد وأخذ يترجم لهم في جريدة المسائية خلال شهري رجب وشعبان عام ١٤١٩هـ .. وأضيف هذه المقارنة : للدكتور العثيمين [٣] :

١ - إبراهيم بن محيذيف من الرياض * .

٢ - إبراهيم النفيسي من الرياض .

٣ - ثلأب العجالين الدوسري * .

(١) قال أبو عبدالرحمن : بل كان ذلك بتشاور بين عبدالعزيز وقومه بحضور الشيخ عبدالله كما مر في رواية الهزاني .

(٢) السعوديون والحل الإسلامي ص ٢٧٣ - ٢٨٣ و ص ٣٠٩ - ٣١١ .

(٣) هذه رواية عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ في تهميشه على كتاب ابن عيسى «عقد الدرر» ص ١٠٤ ، وهناك روايات لا تتفق معها في بعض الأسماء .. ومن هذه الروايات رواية ابن هذلول ص٥٨، وموضوع نجمة على الأسماء التي لم ترد في روايته .. قال أبو عبدالرحمن : وهذا صنيع الزركلي أيضاً مع نص ابن هذلول .

٤ - حترش العرجاني * .

٥ - حزام العجالين الدوسري .

٦- حشاش العرجاني * .

٧ - زايد البقشي السبيعي * .

٨ - زيد بن زيد من الرياض .

٩ - سالم الأفيجح * .

١٠ - سعد بن بخيت من الرياض .

١١ - سعد بن عبيد من صلبوخ [١] * .

١٢ - سعد بن نجيفان من منفوحة * .

١٣ - سعد بن هديب * .

١٤ - سعود بن ناصر بن فرحان آل سعود .

١٥ - سعيد بن بيشان الدوسري .

١٦ - سلطان (مولى الملك عبدالعزيز) * .

١٧ - شايع بن شداد السهلي * .

١٨ - صالح بن سبعان من الرياض .

١٩ - صطام أبا الخيل المطيري .

٢٠ - طلال بن عجرف السبيعي * .

٢١ - عبدالعزيز بن جلوي آل سعود .

(١) قال عنه سعد بن رويشد في روايته الموردة في كتاب المصمك رمز من التراث تأليف الدكتور عبدالرحمن السبيت والأستاذ محمد التوبة والدكتور طه الفراء ، طباعة الحرس الوطني دون ذكر لسنة الطباعة ص ١٣٦ : إنه من ملهم .

٢٢ – عبدالعزيز بن عبدالله بن تركي آل سعود .

٢٣ – عبدالعزيز بن مساعد آل سعود .

٢٤ – عبدالله بن جريس من العمارية .

٢٥ – عبدالله الجطيلي من عنيزة * .

٢٦ – عبدالله بن جلوي آل سعود .

٢٧ – عبدالله بن خنيزان من الرياض .

٢٨ – عبدالله أبو دريب السبيعي * .

٢٩ – عبدالله بن شنار الدوسري [١] .

٣٠ – عبدالله بن صنيتان آل سعود .

٣١ – عبدالله بن عثمان الهزاني من الحريق .

٣٢ – عبدَالله بن عسكر من الرياض .

٣٣ – عبدالله بن مرعيد السبيعي * .

٣٤ – عبداللطيف المعشوق من الرياض .

٣٥ – عبيد أخو شعواء الدوسري * .

٣٦ – عبيد بن صالح من الرياض * .

٣٧ – فرحان آل سعود (مولى) .

٣٨ – فهد بن إبراهيم بن مشاري آل سعود .

٣٩ – فهد بن جلوي آل سعود .

٤٠ – فهد بن شعيل الدوسري .

---

(١) ورد عند ابن هذلول فلاج بدلاً من عبدالله .

٤١ - فهد المعشوق من الرياض .

٤٢ - فيروز آل عبدالعزيز (مولى الملك عبدالعزيز) .

٤٣ - ماجد بن مرعيد السبيعي .

٤٤ - محمد بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود .

٤٥ - محمد بن قماع من الرياض * .

٤٦ - محمد المعشوق من الرياض .

٤٧ - محمد بن هزاع من الدرعية .

٤٨ - محمد بن الوبير الشامري [١] .

٤٩ - مسعود ال مبروك من الرياض .

٥٠ - مسلم بن مجفل السبيعي .

٥١ - مطلق بن جفال [٢] .

٥٢ - مطلق بن عجيبان من الرياض .

٥٣ - معضب بن خرصان الشامري [٣] .

٥٤ - مناور العنزي * .

---

(١) ورد في روايتي ابن هذلول وابن رويشد : فهد .. بدلاً من محمد .

(٢) لعله من ورد عند ابن هذلول باسم مطلق المغربي .

(٣) ورد عند ابن هذلول وابن رويشد «معضد» بدلاً من معضب .. وقد ورد اسم فهد بن معمر عند كل من ابن هذلول وابن رويشد .. وورد عند أولهما اسم عبدالله بن عبيد ، كما ورد عند ثانيهما اسم خليفة بن بديع ، واسم عبدالله بن مشخص .. وهي أسماء لم ترد في رواية آل الشيخ .. ورواية ابن رويشد قريبة من رواية ابن هذلول من حيث العدد وتطابق الأسماء ؛ إذ تجعل الأسماء ٤٧ في حين يجعلها ابن هذلول ٤٢ .. والأسماء التي ذكرها ابن رويشد كما ذكرها آل الشيخ ولم يذكرها ابن هذلول هي : ثلاّب العجالين الدوسري ، وسعد بن عبيد ، ومناور العنزي ، ونافع الحربي .

٥٥ - منصور بن حمزة من الرياض .

٥٦ - منصور بن فريج .

٥٧ - ناصر بن شامان .

٥٨ - ناصر بن فرحان آل سعود .

٥٩ - نافع الحربي * .

٦٠ - يوسف بن مشخص [١] .

وقد أقر بمناسبة الذكرى المئوية المجيدة حصر المشاركين في ثلاثة وستين نفراً بتعيين أسمائهم على هذا النحو :

١ - محمد بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود .

٢ - عبدالله بن جلوي بن تركي آل سعود .

٣ - عبدالعزيز بن جلوي بن تركي آل سعود .

٤ - فهد بن جلوي بن تركي آل سعود .

٥ - عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي آل سعود .

٦ - عبدالعزيز بن عبدالله بن تركي آل سعود .

٧ - عبدالله بن سعود بن عبدالله «صنيتان» آل سعود .

٨ - فهد بن إبراهيم بن مشاري آل سعود .

٩ - ناصر بن سعود بن فرحان آل سعود .

١٠ - سعود بن ناصر بن سعود بن فرحان آل سعود .

١١ - إبراهيم بن عبدالرحمن بن محيذيف - من أهالي الرياض .

---

(٢٦٣) تاريخ الجزيرة العربية ٢/٣٥٩ - ٣٦١ .

١٢ - إبراهيم بن عبدالرحمن النفيسي - من أهالي الرياض .

١٣ - ثلاب العجالين الدوسري .

١٤ - حترش العرجاني .

١٥ - حزام بن خزام العجالين الدوسري .

١٦ - حشاش العرجاني .

١٧ - خليفة بن عبدالرحمن بن بديع - من أهالي الدرعية .

١٨ - زايد البقشي السبيعي .

١٩ - زيد بن محمد بن زيد - من أهالي الرياض .

٢٠ - سطام أبا الخيل المطيري .

٢١ - سعد بن بخيت التركي - من أهالي الرياض .

٢٢ - سعد بن عبدالرحمن بن نجيفان - من أهالي الرياض .

٢٣ - سعد بن عبدالله بن عبيد - من أهالي ملهم .

٢٤ - سعد بن هديب - من أهالي الدلم .

٢٥ - سعيد بن بيشان الدوسري - من أهالي الدرعية .

٢٦ - سلطان العبدالعزيز - من أهالي الرياض .

٢٧ - شايع بن شداد السهلي .

٢٨ - صالح بن إبراهيم بن سبعان - من أهالي الرياض .

٢٩ - طلال بن عجرش السبيعي .

٣٠ - عبداللطيف بن حسين المعشوق - من أهالي الرياض .

٣١ - عبدالله أبو دريب السبيعي .

٣٢ - عبدالله بن حسين بن جريس - من أهالي العمارية .

٣٣ - عبدالله بن شنار الدوسري .

٣٤ - عبدالله بن عثمان الهزاني - من أهالي نعام .

٣٥ - عبدالله بن عسكر «السيد» - من أهالي الرياض .

٣٦ - عبدالله بن علي بن خنيزان - من أهالي الرياض .

٣٧ - عبدالله بن محمد الجطيلي - من أهالي عنيزة .

٣٨ - عبدالله بن مرعيد السبيعي .

٣٩ - عبيد «أخو شعوا» الدوسري .

٤٠ - عبيد بن صالح بن مشخص «عويبيل» - من أهالي الرياض .

٤١ - فالح بن مجلاد الفويجح السبيعي .

٤٢ - فرحان السعود - من أهالي الرياض .

٤٣ - فهد بن عبدالعزيز بن معمر - من أهالي العيينة .

٤٤ - فهد بن علي المعشوق - من أهالي الرياض .

٤٥ - فيروز العبدالعزيز - من أهالي الرياض .

٤٦ - ماجد بن مرعيد السبيعي .

٤٧ - محمد بن حسين المعشوق - من أهالي الرياض .

٤٨ - محمد بن رشيد بن قماع - من أهالي الرياض .

٤٩ - محمد بن شعيل الدوسري .

٥٠ - محمد بن عامر الوبير العجمي .

٥١ - مسعود المبروك - من أهالي الرياض .

٥٢ - محمد بن هزاع - من أهالي الدرعية .

٥٣ - مسلم بن مجفل السبيعي .

٥٤ - مطلق بن جفال السبيعي .

٥٥ - مطلق بن محمد بن عجيبان - من أهالي الرياض .

٥٦ - مطلق المغيربي - من أهالي الرياض .

٥٧ - معضد بن خرصان الشامري .

٥٨ - مناور العنزي - من أهالي الرياض .

٥٩ - منصور بن فريج - من أهالي الرياض .

٦٠ - منصور بن محمد بن حمزة - من أهالي الرياض .

٦١ - ناصر بن عبدالله بن شامان المليحي السبيعي - من أهالي الدرعية.

٦٢ - نافع الحربي .

٦٣ - يوسف بن صالح بن مشخص - من أهالي الرياض .